وزارة الثقافة
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

أقنعة الإستعمار الأمريكي

تأليف : الدكتور سامي منصور

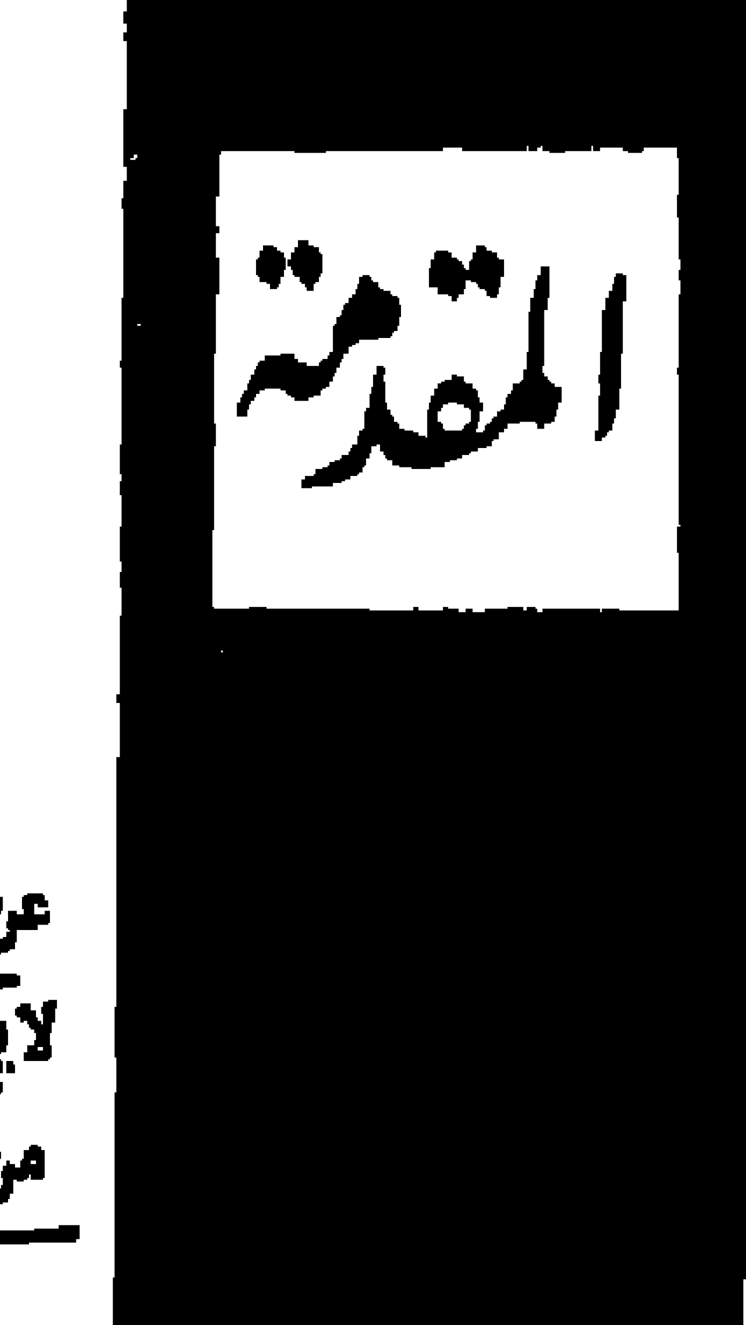
أقنعة الاستعمار الأمريكي

تأليف

الدكتور سامي منصور

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

فهرس



المقدمة

ان ساعات المجابهة بيننا وبين الاستعمار الامريكى قد كشفت عن ان بيننا بعضا ـ صحيح انه قليل ـ كان متشككا ، اذ انـه لايريد أن يصدق أن للولايات المتحدة وجها استعماريا بهذا القدر من القبح .

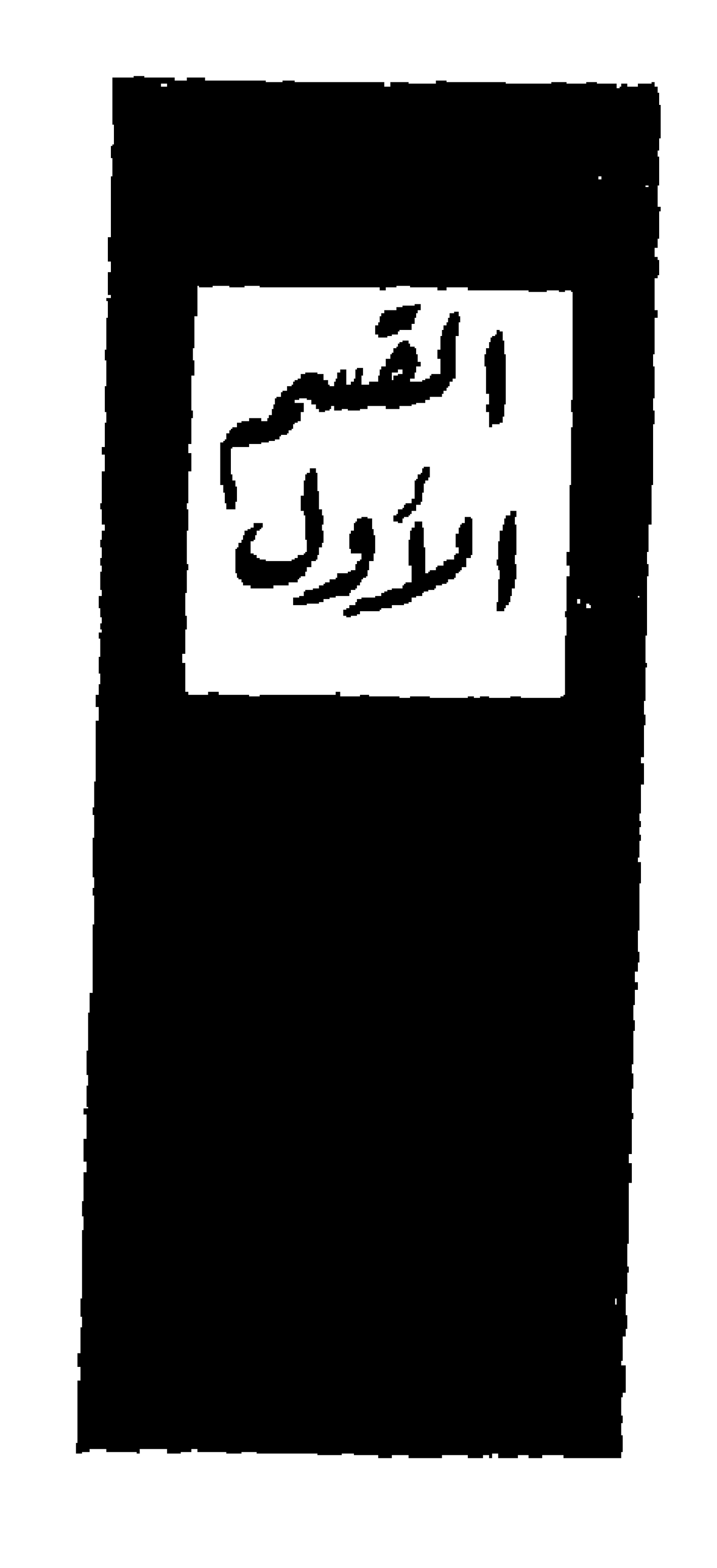
ان هؤلاء المتأثرين بالدعاية الامريكية ـ المتامركين ـ بالرغم من قلة عددهم الا أن بعضهم كان يشغل مواقع تجعل لصوتهم ثقلا لا بد من حسابه .. !

واذا كان هناك فضل فى كشف مواقع هؤلاء المتأمركين فانه يرجع ـ اعترافا بالحقيقة ـ الى الرئيس الامريكى جونسون نفسـه الذى بدد الاوهام وحول ما كان أمرا مرفوضـا تصديقه الى واقع ملموس لا يمكن انكاره .

وقد ساعد هؤلاء على فهمهم الخاطىء أن صفحات متكاملة عن الاستعمار الامريكى لم تقدم الا ويسبقها امكانية عـودة الامل فى الثورة ـ ! ـ الامريكية لتكون عونا للحركات الوطنية وسـندا لها .. !

واذا كانت صفحات قد كتبت عن الاسـتعمار الامريكى فان عشرات من الكتب قد نشرت عن الحرية ، والفكر الامريكى الحر ، والحضارة الامريكية وعظمة الثورة الامريكية . وقد حان الوقت لعمل موازنة ـ على الاقل ـ مع هذه الاكاذيب التى طالما نشرت بيننا وهذه مساهمة منى على هذا الطريق .

د. سامى منصور



بين الأمس واليوم

ان الحديث عن الاستعمار الامريكى بين الامس واليوم حديث قد لاتكفيه صفحات كتاب واحد ، والسبب ببساطة هو أن الرحلة بين الامس واليوم طويلة قد تبتلع معها قرنا كاملا من الزمن . وحيث ان تفاصيل الرحلة لاتقدم او تؤخر شيئا فى موضوعنا ، فقد فضلت تقديم صورة للبداية باعتبار أنها تبدد الغيوم عن الفكر ، وتكشف عن حقيقة وهى أن الاستعمار الامريكى قديم مثله مثل الاستعمار الاوربى ثم بحثت وراء نهاية الخيط حتى اليوم ، وهى طبعا ليست الفصل الختامى ولكنها آخر ماوصل اليه الموقف . ويستطيع أى انسان ان يشعر بأن التفاصيل التى بين النقطتين ليست أكثر من استطراد لما كان قائما .

وعلى هذا رايت تقسيم هذا الجزء التمهيدى الى فصلين .

الفصل الأول

ما أغفله المؤرّخون

خطأ سواء أكان متعمدا أم بدون قصد ـ وقعت فيه الدراسات المعاصرة بأن غفلت عن تسجيل صفحات التـــاريخ الاستعماري الأمريكي ، حتى أن البعض تصور ـ نتيجة لذلك ـ أن الولايات المتحدة حديثة عهد بالاستعمار ٠ والغريب أن الخطأ ليس فى هذا التصور فحسب ولكن فى أن الولايات المتحدة قد دخلت سباق المســتعمرين منذ القرن الماضي ومع ذلك فقــد نجحت طوال هذه السنوات فى أن تبقى بعيدا عن الظهور كقوة استعمارية ٠٠ !

أكثر من هذا ، انه حتى الذين أدركوا حقيقة موقف الولايات المتحدة الاستعماري كان أغلبهم لا يتصور أنها بدأت مثل الاستعمار البريطاني والفرنسي على ظهر الزحف العسكري والاحتلال الحربي٠

وسوف أحاول في هذه السطور القادمة استعراض الاستعمار العسكري الامريكي فى القرن الماضي ، وهى ليست دراسة كاملة ، لأن هذه الدراسة تحتاج الى وقت قد يطول ، ولكنهــا مجرد رحلة سريعة على الورق ، اذ أن المهم فى نظرى ليست التفاصيل ، ولكن المهم هو أن يتضح الاطار التاريخي العام للاستعمار الأمريكي ٠

وخط سير الاستعمار ـ أى استعمار ـ يكاد يكون فى اطاره

العام واحدا فهو عادة ما يبدأ بعدد من المغامرين تلحق بهم شركات تجارية تفتح مراكز للتجارة كما تفتح الطريق نحو احتلال عسكرى يحمى وجود المغامرين وممتلكات هذه الشركات !..

وقد سار على هذا الطريق الاستعمار البريطاني والفرنسى والاسباني والبلجيكي ومثلهم أيضا الاستعمار الأمريكى ، وان كان يحدث ـ في كثير من الأحيان ـ أن تتداخل المراحل حتى تكاد تتلازم تاريخيا .

والمهم أننا يجب أن نعرف أن سنة ١٨٤٤ تعتبر نقطة تحول فى التاريخ الامريكى . ولكن لا بد من تحذير صغير . وهو أن أحداث التاريخ لا يمكن اقتطاعها بحد السيف . فكل أحداث عام لا بد أن تمهد له أعوام تسبقه . فقبل هذا التاريخ كانت الولايات المتحدة مشغولة ببناء امبراطورية صناعية ومالية فى الداخل ، وساعدها على سرعة البناء اتساع الرقعة والغنى الفاحش للأرض بكل الثروات ، وما كان لهذه الامبراطورية الصناعية أن تعيش ـ فى ظل النظام الأمريكى ـ فى اطار الأرض الأمريكية والا اختنقت.

ففى سنة ١٨٤٤ انضمت كاليفورنيا الى الاتحاد الأمريكى لتصبح احدى ولاياته . وبها أطلت الولايات المتحدة على مياه الباسفيكى . ويومها علق أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى على هذا الحدث بأن « الوقت قد حان لفتح الأبواب المغلقة فى وجه الولايات المتحدة حتى ولو بالقوة ! » .

ونجد أن تحركات الولايات المتحدة خلال هذه الفترة كانت ذات طابعين :

• فهى اما أنها تحركت وحدها اعتمادا على قوتها الى مناطق لم يكن استعمار أوربى قد وصل اليها .

• واما انها تحركت ضمن ركب استعمارى أوربى تقاسمه الغنيمة •

ونقطة البداية التى فتحت الطريق لهذا التحول كانت بالاعلان المشهور بمبدأ مونرو سنة ١٨٢٣ • وهو يشتق اسمه من اسم رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى ذلك الحين • والاعلان الذى يتصور البعض أنه نوع من « العزلة الأمريكية » كان فى واقعه هو أول وثيقة للاستعمار الأمريكى •

ففى هذا العام استطاعت فرنسا نيابة عن « الحلف المقدس » الذى كان يضم الدول الأوربية الكبرى القضاء على الحكم الأسبانى • وكان هناك احتمال أن تقوم فرنسا والحلف المقدس بوراثة الاستعمار الأسبانى فى أمريكا الجنوبية • فسارع وزير خارجية بريطانيا ـ كاينتج ـ بتقديم اقتراح لوزير خارجية الولايات المتحدة باعلان بيان مشترك بمقاومة أى تدخل من دول الحلف المقدس فى شئون العالم الجديد • وتلقف الرئيس مونرو الفكرة ورأى مستشاروه الانفراد بها وابعاد بريطانيا نفسها أيضا • وبذلك أعلن ما أسمى بـ « مبدأ مونرو » وهو أصلا اقتراح بريطانى بهدف اعتبار أى تدخل أوربى فى شئون العالم الجديد اعتداء على سلامة الولايات المتحدة ، وكان معروفا ومؤكدا لدى الولايات المتحدة انه لم تكن هناك نية جدية للتدخل العسكرى فى المستعمرات الأسبانية بأمريكا الجنوبية ، مما يجعل هذا الاعلان بمثابة اعلان للوصاية الأمريكية العسكرية على المنطقة • وتبع ذلك زحف هائل على أمريكا الجنوبية ، وآسيا ، وأفريقيا فى هذا الوقت المبكر من التاريخ الاستعمارى العالمى ، ويمكن تلخيص سياسة هذه الرحلة فى كلمات هى التأثير فى العالم مع منع تأثير العالم الى أقصى قدر ممكن فى المجتمع الأمريكى ومناطق نفوذه •

ورفضت الدول التي من أجلها صدر مبـدأ مونرو الخضـوع وقبول ارادة الولايات المتحدة • ولما كان ما صاحبَ اعلان المبدأ من سياسة ذات طابع غير عسكرى فقد انحصرت المعارضة فى مجرد بيـانات • واسـتطاعت الولايات المتحـدة فى ظل ذلك أن تبعثر عشرات من المغامرين على أنحاء العالم المختلفة ابتداء من الصين حتى الأرجنتين • وكانت مهمتهـم هى فتح المراكز التجـارية للولايات المتحدة • ولم تكن مهمة هؤلاء المغامرين سهلة بل وجد كثير منهم صعوبات حالت دون تحقيق مهمتهم •

ولذلك خرجت القوات المسلحة الأمريكية تفتح ما فشل ف فتحه المغامرون والتجار • فدخلت القوات الأمريكية بعد أن فتحت كاليفورنيا الى المكسيك ، واحتلت شمالها كله سنة ١٨٤٦ •

ولم يقف الغزو الاستعمارى الأمريكى عند حد أمريكا اللاتينية بل امتد الى كل العالم •

ففي ٨ يوليو سنة ١٨٥٣ وصلت ٤ قطع بحرية أمريكية الى ميناء « بوارجا » اليابانى ، ومع قائدها رسالة من الرئيس الأمريكى تحمل بين سطورها الودية تهديدات مغلفة بالدبلوماسية بامكان استبدال القطع الأربع بقطع أكـبر وبسفن أضخم اذا لزم الأمر • وانتهت الزيارة العسكرية بتوقيع معاهدة فى ٣١ مارس سنة ١٨٥٤ تقضى بفتح ميناءين أمام التجـارة الأمريكية على أن تتمتع الجاليـة الأمريكية فيهما بامتيازات منها :

- حق الاقامة الدائمة وحرية الحركة •
- الخضوع للقضاء الأمريكى •

وبعد ذلك بعامين أى سنة ١٨٥٦ تدخلت القـوات الأمريكيه فى بنما لقمع ثورة وطنية فى مهدها ، وفرض ارادة الولايات المتحدة

على بنما ، وتكرر نفس العمل سنة ١٨٥٩ بتدخل البحرية الأمريكية في باراجواي •

ومع استمرار الزحف الاستعماري الأمريكي فانه قد اشترك مع غيره من القوى الاستعمارية لاخضاع الدول التي قاومت تقسيم الغنائم بين الأطراف جميعا •

ففي ٢١ يونيو سنة ١٨٧٠ قتل أحد قناصل فرنسا بمدينة صينية نتيجة استفزازه للجماهير واطلاقه النار عليهم • ووجدت الدول الاستعمارية في الحادث فرصة للتدخل • وفعلا قدمت القوى الاستعمارية التقليدية ـ بريطانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها ـ مذكرة جماعية لحكومة بكين تطالب بالقصاص • والغريب أن الولايات المتحدة كانت واحدة من الدول التي وقعت هذه المذكرة • بل لقد تبع تقديمها وصول قطع بحرية من هذه الدول ومن بينها البحرية الأمريكية •

وبعد هذا الحادث بأعوام استطاعت الولايات المتحدة أن تسبق الدول التي كانت معها في الحصول على معاهدة من الصين باعطاء امتيازات عديدة لها في كوريا ، وبعدها تسابقت بقية الدول لطلب نفس الامتيازات •

وقد اتجهت جهود الولايات المتحدة الى افريقيا أيضا ، ولكنها لم تجد مكانا لم تسبقها اليه احدى الدول الاستعمارية الأوربية • ومع ذلك فهي لم ترض بقبول الهزيمة • فكانت هي الدولة الوحيدة غير الأوربية التي حضرت مؤتمر برلين ١٨٨٤ • والذي عقد أساسا لتقسيم أفريقيا بين الدول الاستعمارية الأوربية • وكان أهم شعار رفعه الوفد الأمريكي في المؤتمر هو اتباع « سياسة الباب المفتوح »، وهو يقصد فتح كل المستعمرات بدون تمييز أمام تجار الغرب ،

واعتبرت الدول الأوربية هذه السياسة محاولة أمريكية للتسرب الى مستعمراتها .

وما حدث حول تقسيم قارة أفريقيا تكرر مرة أخرى خــلال الفترة من عـــام ١٨٩٦ الى عـام ١٨٩٩ حين كانت جهود الدول الاستعمارية مركزة حول توزيع الأراضي الصينية عليهم . وكانت مواقع الولايات المتحدة فى الصين مركزة فى هانكاو وكانتون . واذا كانت الحكومة الأمريكية قد فشلت فى أفريقيا فانها استفادت من الفشل بأن وقفت فى سبيل سباق تقسيم الصين ، وساعدها على ذلك وجودها الفعلى هناك . وطالبت مرة أخرى باتباع ســياسة « الباب المفتوح » . وقد اضطرت الدول الاستعمارية الأوربية الى قبول ذلك .

والواقع أن خضوع الدول الاستعمارية الأوربية لارادة أمريكا فى هذه الفترة مع أنها هى نفسها التى وقفت ضـــدها قبل ذلك بسنوات فى مؤتمر برلين ، يرجع الى أن الحكومة الأمريكية كانت قد بدأت عام ١٨٩٨ حربا استعمارية لاعادة تقسيم المستعمرات ، واختارت أسبانيا على وجه خاص لترث كل مالها . وانتهت هــذه الحرب باحتلال الفلبين وبورتوريكو وكوبا بالاضافة الى السيطرة على كل شمال أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبى وعدد من جزر المحيط الهادى .

أكثر من هذا أن البعض قد نسى أن الولايات المتحدة كانت احدى الدول الرئيسية التى أعلنت الحرب على الثورة السوفيتية . فالرئيس الأمريـــكى ويلسون الذى يحلو للبعض أن يلقبه برجل السلام ــ ! ــ هو الذى وقع أمرا فى ١٧ يوليو سنة ١٩١٨ بالتدخل المســلح ضد الثورة الســوفيتية . بل وأتبع ذلك ارســال قوات مسلحة بلغت الدفعة الأولى منها ٥٥٠٠ جندى .

ثم اشترطت الولايات المتحـــــدة في ٢٢ مارس سنة ١٩٢١ لاقامة العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي أن عليه أولا :

١ ـ اعلان الاعتراف بحق الملكية الخاصة •

٢ ـ اعلان حرية العمل •

وربما كانت هذه أغرب شروط فى التاريخ الحديث للسياسة الاستعمارية حين تتدخل فى شئون غيرها•• وهى تفرضها فى مقابل العلاقات التجارية لا غير ••!

ويكفى وصفا لدور القوات المسلحة الأمريكية فى هذه الفترة ما سجله أحد قادة الجيش الأمريكى بعد اعتزاله •

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاما فى خدمة الجيش الأمريكى ، كنت فى معظمها أقرب الى قاطع الطرق الذى يعمل لحساب دوائر المال والاعمـــال • وقد عملت على فتح المكســيك لشركات البترول سـنة ١٩١٤ • ومهدت الطـــريق فى نيكاراجوا ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ للاستثمارات الأمريكية • وفرضت على الدومينكان سنة ١٩١٦ فتح أبوابها لشركة استثمار السكر » •

ونفس ما حدث فى أفريقيا ثم الصين تكرر في الشرق العربى حيث شاركت الولايات المتحدة فى عملية تقسيم مناطق النفوذ تحت نفس الشعار « الباب المفتوح » •• وكانت قد طلبت من بريطانيا وغيرها فى ١٢ مايو سنة ١٩٢٠ تطبيق هذه السياسة ، واشراكها فى أية مباحثات تتعلق بامتيازات البترول في الشرق الأوسط •

واذا كنت لم أحاول السير وراء كل خيط حتى نهايته فان كل هدفى من هذه المقدمة هو توضيح : ـ

أولا : أن الاستعمار الأمريكى قديم قدم الاستعمار البريطانى والفرنسى والبلجيكى وغيرهم • وهى حقيقة لابد من التركيز عليهـا

وتأكيدها فى كل مناسبة حتى لا نقع فى الخطأ الشائع بأن الولايات المتحدة لم تدخل المجال الاستعمارى الا بعد الحرب العالمية الثانية • وهو قول تكذبه صفحات التاريخ التى اخترت لمحات عاجلة منهـا فى السطور السابقة •

ثانيا : ان الاستعمار الأمريكى مثله مثل كل استعمار أوربى اعتمد على الغزو العسكرى والاحتلال الحربى ، ويكفى أن نعلم أن الولايات المتحدة احتلت مثلا الفلبين عسكريا من ١٨٩٩ حتى الحرب العالمية الثانية • وهى أيضا حقيقة لابد من تأكيدها فى الأذهان •

ثالثا : ان أهداف التوسع الاستعمارى الأمريكى لم تكن أبدا محصورة فى أمريكا اللاتينية ، بل كانت ـ منذ بدايتها ـ ممتدة الى العالم كله ابتداء من اليابان والصين حتى جنوب أفريقيـا وأقصى أمريكا الجنوبية • واذا كانت الولايات المتحدة لم تحتل فى القرن الماضى أرضـا أفريقيـة فليس ذلك لأنها دولـة لم تكن وقتهـا استعمارية ، وانما السبب الحقيقى هو فى أنهـا لم تجد شيئا باقيا لها لتحتله بدون صدام مسلح مع القوى الاستعمارية التى سبقتها الى هناك •

رابعا : ان الاســتعمار الأمـريكى لم يختلف عن غـيره من الاستعمار الأوربى ، بل ولم يختلف معه • وكان يعمل معه باتفاق لتقسيم العالم ، وفرض الارادة الاســتعمارية على أى بقعة فيه • وتكثر حوادث التاريخ التى شاركت فيها القوات الأمريكية قوات الدول الاســتعمارية الأوربية فى التدخل طلبـا للامتيازات وفرض الشروط الاستعمارية على الدول •

خامسا : ان الاســتعمار الأمريكى حين لم يكن أمامه مجال لاستخدام القوة كان يلجأ الى شعار سياسة «الباب المفتوح» كوسيلة لاقتسام التركة الاستعمارية •

سادسا : واضح أن الاستعمار الأمريكي قد استفاد الى حد بعيد من خبرات الاستعمار البريطانى على وجه خاص • فالمعروف أن أبرز معالم الاستعمار البريطاني هو حكم المستعمرات من خلال القادة المحليين • فهو بذلك يوفر رجاله وأمواله ، وفي نفس الوقت يتجنب الصدام المباشر مع الجماهير ، وهو نفس الأسلوب الذى سار عليه الاستعمار الأمريكي فى الفلبين ، والجزر التى يحتلها ، ومنها جزر سامفوا وكل مناطق نفوذه • فالمهم هو ضمان استمرار وجود المستعمرة كمورد للمواد الأولية الرخيصة وســوق لفائض الانتاج الأمريكي ، وألا يحدث تدخل سافر الا فى حالة تهديد هذه المصالح بالخطر •

هذه هى الخطوط العامة للاطار التاريخي للاستعمار الأمريكى وبقى بعد ذلك أن ندخل فى صلب الحديث وقلبه •

الفصل الثانى

انقلاب عسكرى فى واشنطن

اذا كان الاستعمار الأمريكى ـ كما قلت ـ قديمـا ، فلابد من وجود عوامل هى التى جعلت البعض يتصـور أنه مجرد وليد لظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية • وأعتقد أن بعض العوامل التى ساعدت على الكشف علانية عن وجه الاستعمار الأمريكى فى السنوات الأخيرة هى :

١ ـ انهيار دول الاستعمار الأوربى خلال الحرب العالمية الثانية وهزيمتها مما جعل من المستحيل ضمان استمرار احتفاظها بالمستعمرات بدون دعامة جديدة ، وقد أغرى ذلك الحكومة الامريكية على العودة لسياسة الباب المفتوح من جديد •

٢ ـ ان هناك مناطق كثيرة انسحب منها الاستعمار الأوربى، وأصبحت من وجهة النظر الأمريكية مناطق فراغ لا بد من الاسراع بشغلها قبل أن تعود اليها احدى الدول الاستعمارية بأية صورة من الصور أو أن تشغلها حركة وطنية قوية لسد الطريق أمام الاستعمار الأمريكى •

٣ ـ ما وصلت اليه الولايات المتحدة من قوة عسكرية واقتصادية فى ظل توازن الرعب الذرى بين الشرق والغرب ساعدها

على أن تتحرك كقوة استعمارية سافرة فتتدخل عسكريا فى جواتيمالا وكوبا وكوريا وفييتنام والدومينكان والشرق العربى دون أن تخشى مجابهة عسكرية الا اذا كان من يتصدى لها مستعدا لتحمل عبء حرب عالمية ثالثة .. وهى حرب ذرية هذه المرة .. !

والواقع أن المحرك الأساسى وراء هذه السياسة السافرة للاستعمار الأمريكى هو ذلك التغيير الجوهرى الذى حدث فى نظام الحكم الأمريكى . وهو تغيير لم يلحظه الكثيرون نظرا للأسلوب البطىء والصامت الذى جرى به .

فانى حقيقة وخصوصا بعد عودتى من الولايات المتحدة أعتقد أن انقلابا عسكريا قد وقع فى الولايات المتحدة ، ولكن على الطريقة الأمريكية . فهو انقلاب عسكرى بكل آثار الانقلابات العسكرية ولكنه على طريقة أمريكية ، لأن له طابعه الخاص وأسلوبه المميز . فهو لم يقع فى ساعة ليل أو نهار . ولا جرى بخروج دبابات أو طائرات الى مراكز السلطة تفرض ارادتها عليها . ولكنه جرى على مدى سنوات قد تصل الى عشرة أعوام وربما أكثر . وهو لم يكن فى صورة قوات مسلحة تزحف على العاصمة ، ولكنه كان فى نشاط يتسع ويتشعب حتى سيطر على كل السلطة الفعلية ، السلطة التى تملك حق العمل بحرية وبلا حدود فى مواجهة كل الذين يملكون حق المعارضة أو بمعنى أدق حق الصراخ بلا حدود .

ولا بد من وقفة هنا قصيرة حتى تقبل النفس هذه الحقيقة التى قد تبدو لأول وهلة أمرا غير مقبول ، وقبل أن تلهث الأنفاس جريا وراء تاريخ رحلة الطابور العسكرى الأمريكى عبر طريق السلطة . وهى رحلة لا بد منها حتى تزول معالم اللامعقولية فى هذا الواقع .

وأعتقد أن نقطة البداية كانت فى حرب كوريا وربما كانت

قبل ذلك ، وبالتحديد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حين خرجت الولايات المتحدة لأول مرة لتشارك فى المسئولية الدولية وللمرة الثانية على الطريقة الأمريكية • الا أن البداية الفعلية كانت فى كوريا ، حيث اشتركت أمريكا لأول مرة فى تاريخها فى حرب برية سواء بقواتها أو بقوات حليفاتها •!

● **ومن خلال الحرب الكورية عرفت الصناعة الأمريكية واقعيا أثر الحرب ـ مع أنها محدودة ـ على امكانياتها فى التوسع ، ومضاعفة الانتاج ، وارتفاع الاسعار مع انخفاض التكلفة ، وبالتالى زيادة الأرباح بصورة لم يسبق لها مثيل •!**

● الى جانب أن الحرب الكورية قد امتصت ـ أغلب ان لم يكن ـ كل المخزون من أسلحة الحرب العالمية الثانية ، وبالتالى كان لابد من اعادة انتاج مخزون جديد • وهو يعنى تشغيل المزيد من القدرة الانتاجية للمصانع ، وتحقيق مزيد من الربح لأصحاب رءوس الأموال •

● ان الحرب ـ كما هى دائما وفى كل مكان ـ دفعة قوية لابتكار أنواع جديدة من الأسلحة وتطوير ماهو موجود• وقد كانت الحرب الكورية امتحانا لما لدى الجيش الأمريكى من أسلحة أثبتت عدم فاعليتها ، فاتجهت كل الجهود نحو تطوير صناعة الحرب •

وقد تحرك هـذا المثلث فوق مثلث الجيش الزاحف ـ البرى والجوى والبحرى ـ ليمثل الزحف الحربى على الصناعة • حتى بلغ ما قطعه من الرحلة قدرا واضح المعالم دفع ايزنهاور ـ فى خطاب الوداع للرئاسة ـ ليقول ان صناعة الأسلحة بهذه الضخامة حديثة عهد بأمريكا ، ولكنها أصبحت ذات أثر تشعر به كل مدينة وكل ولاية وكل مكتب فى الحكومة الفيدرالية • ولا بد أن يتابع مجلس الوزراء بعناية تحالف الصناعة والعسكرية معا باعتباره ظاهرة تمثل خطرا مستقبلا على أمريكا » •

وبعده جاء كنيدى ليقول « ان ما أشار اليـه ايزنهاور ظاهرة هامة تستحق المتابعة بعناية ، وهى تحذير يجب عدم اغفاله » .

وصحيح أن كلمات ايزنهاور كانت تحذيرا ، ولـكنه تحذير للعسكريين للاسراع بحركاتهم ، لأن زحفهم قد أصـبح مكشـوفا للأنظار . ولعل هـذا يفسر لنا قيام كينـدى بصرف ٧ مليارات من الدولارات خلال عامين ـ رغم التحذير ـ زيادة عن الميزانية العسكرية لايزنهاور . !

ويكفى لنعلم مدى ضخامة هذا التحالف بين الحرب والصناعة أن شركة مثـل « جنرال موتورز » قـد احتلـت رقم ١٩ فى قائمة الشركات التى حصلت على عقود انتـاج حربى سـنة ١٩٦٥ ، وأن نصيبها لم يكن أكثر من ١٪ من ميزانية التشغيل الحربى . ولـكن هذا الواحد يبلغ ٢٥٤ مليون دولار . وبالتـالى يتضحأن ميزانيـة التشغيل التى ذهبت الى الشركات الأمريكية خلال١٩٦٥ فقط كانت ٢٥٫٤ ألف مليون دولار .

أكثر من هذا .. أن وزارة الدفاع الأمريكية أصبحت ترى من واجبها التدخل لانقاذ بعض الشركات من الافلاس، أو مساعدة بعض الشركات عن طريق عدد من العقود .

وقد سـمعت فى احدى لجان الـكونجرس ماكنمـارا يرد على سؤال بأن الجيش الأمريكى اشترى حبوب منع الحمل بمبلغ ٥٣ مليون دولار لانقـاذ الشركة المنتجـة من الافـلاس ووضـعت الحبوب فى المخازن . !

وقد أتت كلمـات التحـذير من ايزنهـاور بأثرها سريعـا . **ويمـكن أن نعتبر عام ١٩٦٣ هو العـام الذى أصبح فيه للانقـلاب العسكرى على الطريقة الأمريكية قائد يتحدث باسمه ويحكم الموقف بحيث لا يصبح بعده حكم . !**

وكانت أكبر مشكلة واجهت العسكريين الأمريكيين فى زحفهم على السلطه الفعليه فىالولايات المتحدة هى أنه ليس لهم رجل واحد، وان كل سلاح من الاسلحة الثلاثه يعمل لحساب نفسه وله قائده وخلال التجربة الفعلية للزحف على السلطة وقعت منافسات بين القواد أخرت اللحظة الأخيرة • وجاء ماكنمارا سنة ١٩٦٣ بقرارات تمنع أى قائد من الحديث عن سلاحه • وتم تنسيق العلاقات بين القيادة والوزارة • وبعدها **أصبح ماكنمارا هو القائد للانقلاب العسكرى** ، اذ أنه أول من توحدت كلمة الأسلحة الثلاثة خلفه منذ ١٧٥ سنة هى عمر الجيش الأمريكى •

وربما لم تكن مجرد مصادفة أنه بعدها بشهور صدرت التعليمات بالتدخل العسكرى فى فيتنام• وبعيدا عن مشاكل فيتنام وظروفها نجد أن الحرب فى حد ذاتها كانت بمثابة كرسى العرش الذى نصب العسكريون به ماكنمارا حاكما فعليا للولايات المتحدة دون معارضة • فقد سهلت حرب فيتنام عملية تسليم مفاتيح السلطة للعسكريين فى سكون •

وساعدهم على ذلك ـ غير حرب فيتنام ـ عدد من الظروف التى يصعب الاعتراض على قبولها كأمر واقع ومنها :

● ان المنافسة أو الصراع بين الرأسمالية والشيوعية قد أكد فى عقول الأمريكيين ـ وغيرهم طبعا ـ أنه لحماية أنفسهم لا بد أن تكون هناك قوة تفرض السلام •وهو فى الحقيقة ليس سلاما، ولكنه الخوف من الحرب الذى تخلقه قوة التدمير الحربى يؤدى الى تجنب الحرب التى تعتبرها العسكرية الأمريكية سلاما • وطالما أن المنافسة باقية مابقى النظامان فالسلام المسلح هو أسلوب السياسة الأمريكية وغيرها أيضا • وهو ما لم يعد أحد يعترض عليه فى الولايات المتحدة • وبالتالى تزداد اعتمادات الحروب مع كل أزمة مع أن

ماعندهم يكفى لدمار العالم أكثر من مرة ، ولكنها وسيلة للضغط وتأكيد أن القوة هى التى تفرض السلام .

● التعقيد الذى أصبح عليه فن الحرب وخاصة فى الدول الكبرى قد جعل من العسكرية أسطورة مذهلة .

ففى مقر قيادة الدفاع عن أمريكا الشمالية «نوراد» وهى تقع فى كهف تحت جبل صخرى تجد أن القيادة تتكون من ١٢ عقلا ألكترونيا قدرة الواحد منها ٢٠٠ مليون كلمة ، وأضخم شبكة رادار فى العالم ومئات من الطائرات تحلق فى دائرة حول الولايات المتحدة بلا انقطاع وسلسلة من الصواريخ مستعدة دائما للانطلاق . وبالرادار والعقول الاليكترونية يمكنهم اكتشاف أى صاروخ عابر للقارات يطلق وتحديد مكان انفجاره وزمنه ، وبالتالى تحذير الشعب الامريكى ، واخطار قيادته بالهجوم ، ولكنهم حتى الآن لا يستطيعون منع الصاروخ من اصابتهم ، وكأن كل هذه الضخامة ليست لأكثر من تحذير الشعب الأمريكى قبل دماره بحوالى ١٥ دقيقة فقط تكون خلالها قد أطلقت الصواريخ على العدو المهاجم .!

ولمزيد من التوضيح لمدى تعقيد المشكلة أنقل ما سمعت فى مركز القيادة الجوية ، فقد اكتشفوا أنه لارسال الطائرات المقاتلة بمجرد وصول اشارة التحذير فان الفارق بين صعود كل طائرة وأخرى يستغرق دقيقة واحدة . وحيث أن كل مدة الدفاع لاتتجاوز ١٥ دقيقة فمعنى ذلك أن هذه الدقيقة تساوى سنة . وفورا أعلنت الطوارىء وأجريت الأبحاث فأصبحت الدقيقة ١٥ ثانية . وهم يحكون هذه الحكاية لكل زائر صحفى للقيادة .!

● **أثر اقتصاديات الحرب على الرفاهية . فوزارة الدفاع مثلا تشغل أكثر من ٧ ملايين أمريكى فى الانتاج الحربى . هذا غير الذين**

يعملون عن طريق غير مباشر الى حد يستحيل معه حصر الذين لا يستفيدون من الانتاج الحربى • فمثلا نجد أنه حتى شركات انتاج الاسبرين تستفيد ، اذ تشترى وزارة الدفاع سنويا أكثر من ٥٠٠ مليون قرص اسبرين • وان حرب فيتنام قد امتصت أغلبية العاطلين فى الولايات المتحدة •

ولكل هذه العوامل نجد أن السياسيين فى الولايات المتحدة قد استسلموا للأمر الواقع ، واكتفوا هم بحرية الصراخ ، وتركوا حرية العمل للعسكريين ، وبقى اقناع الرأى العام الأمريكى الذى لا يهمه — حقيقة — أكثر من لوازمه اليومية ومتعته ، **ولذلك قررت وزارة الدفاع دعوة الصحفيين سواء من أمريكا أو الدول الأخرى لزيارة قيادتها وقواعدها الداخلية لينقلوا صورة الانبهار الذى يفترض انه سيصيبهم • ولا يقل عدد زوار مركز** القيادة الجوية الاستراتيجية فى أمريكا عن ٣٠ زائرا يوميا ، غالبا مايكون من بينهم عدد من الصحفيين •

واذا كان الحديث قد وصل بنا الى تأكيد مسألة الانقلاب على الطريقة الأمريكية ، وأن قادة الانقلاب يعملون من خلف ستار من دخان حرب فييتنام وغيرها من الأزمات التى يشغلون بها العالم والمجتمع الأمريكى نفسه •• الا أنه برغم أن الانقلاب قد جرى بعيدا عن الأضواء فان أسماء مجلس قيادته معروفة لكل أمريكى • فالمجلس الحاكم فعلا فى الولايات المتحدة اليوم هو مجلس رياسة هيئة أركان الحرب المشتركة وهو المجلس الذى يرأسه ماكنمارا وزير الدفاع ويضم معه خمسة جنرالات هم قواد الأسلحة الأمريكية •

(Pentagon)

ولعل سؤالا يبرز من منطق الحديث ، فاذا كان انقلاب حقيقى قد وقع ، واذا كان العسكريون الأمريكيون فى يدهم السلطة

الفعلية اليوم ، فلماذا وقفت العسـكرية الأمريكية دون الانفراد بالسلطة علنا وصراحة .

وأعتقد أن هناك عددا من الأسباب تقف دون ذلك منها : ـ

١ ـ تقاليد المجتمع الأمريكي المتوارثة والتى يميل كل فرد فيه الى التمسك بشكلياتها تمنع توسع العسكرية فى الزحف على السلطة ـ ولو مؤقتا ـ أكثر مما وصلت اليه حتى الآن . فهو مجتمع قائم على فلسفة الفردية ، الى حد أن القوانين فى الولايات المتحدة لا تمنع امكانية استغلال فرد لأفراد آخرين !

وابقاء العسكريين على هذا العامل فى الواقع يخدم مصالحهم أكثر مما يقيد من حركتهم . فالكونجرس الأمريكى يقول مايشاء وهم يعملون مايريدون وليس بينهما تعارض ، وتبقى أمام الجماهير الصورة براقة لديمقراطية أمريكية . ؟

٢ ـ أنهم يملكون السـلطة الفعلية فى أيديهم . ويحققون أهدافهم تاركين غيرهم يتحمل اللوم عنهم . وماداموا يملكون السلطة الحقيقية فليس هناك مبرر للجرى وراء مظاهر السلطان ، لأن العمل وراء ستار يوفر لهم قدرا من الهدوء أفضل بكثير من العمل علانية تحت الأنظار والأضواء .

٣ ـ أن العسكريين الأمريكيين ـ حتى الآن ـ ولابد من هذا التحفظ ! ـ لا يعملون لحسـابهم ، وانما يعملون ـ حتى الآن ـ لحساب قوة أكبر منهم . فهم ليس لهم ممثل يدافع عن سياستهم فى الكونجرس . **والعلاقة الوحيدة التى تربطهم بالسلطة التشريعية أو بالهيئة البرلمانية لكل حزب فى الكونجرس هى رجـال المال والأعمال . وهى القوة التى يعمل العسكريون لحسابها .**

ورغم أنه تحالف بين العسكريين ورجال المال الا أن للمال الصوت الأعلى حتى الآن . فهم يفتحون شركاتهم لأى ضابط كبير

يترك الخدمة فورا • وقد تجاوز عدد العسكريين الذين يشغلون مناصب مدنية ٢١ ألفا •

أكثر من هذا أن ماكنمارا نفسه يعتبر ممثلا لرجال المال فى الولايات المتحدة • فهو المدير السابق لقطاع السيارات فى شركة فورد ، وهو نفسه يملك أسهما تبلغ قيمتها أكثر من ٣ ملايين دولار • ولا يمكن القول بأنه رجل عسكرى فقد كان ينتمى للحزب الجمهورى ثم انتقل الى الحزب الديمقراطى •

ولعل القليلين هم الذين يعرفون أن ٣٠ شركة فقط هى التى تعتبر محور الاقتصاد الامريكى ، واذا قيل ان أسهم هذه الشركات قد انخفضت أو ارتفعت فمعناه أزمة اقتصادية •• فهى بالنسبة لرجال البورصات فى العالم ترمومتر الاقتصاد الامريكى • وهى نفسها الشركات التى تنال الغالبية الساحقة من عقود الانتاج الحربى •
وهناك حولها ١٤٠ شركة تعتبر شركة كبيرة ، ولكن الشركات الامريكية كلها تتحرك فى فلك أو حسب ارادة الشركات الثلاثين • وقد بلغت أرباحها الصافية أكثر من ٥ مليارات من الدولارات منها أكثر من نصف مليار من الانتاج الحربى • فشركة مثل جنرال اليكتريك ربحت فى عام واحد ٢٨٠ مليون دولار منها ١٤٢ مليونا من الانتاج الحربى •

وحتى الآن لم يقع تعارض بين الاحتكارات الامريكية ورجال القوات المسلحة ، صحيح أن هناك خلافا الآن بين الحكومة المدنية والحكومة العسكرية حول حرب فيتنام • ويقف رجال المال الى جانب العسكريين فى هذا الخلاف • ويبدو أن طلباتهم سوف تجاب فى النهاية ويتراجع السياسيون عن معارضتهم •• ويدور الخلاف حول :

● **يطالب مجلس الأركان برفع القوات الامريكية فى فيتنام الى ٧٠٠ ألف بينما يرى البيت الابيض انه يجب الابطاء فى عملية**

ارسال القوات ، كمـــا لا بد أن تتم على مراحل • وفى اعتقـــاد « البنتاجون » أن ذلك يعرضهم لخسائر •

● يطالب مجلس الأركان أو مجلس الانقلاب بدعوة الحرس الوطنى والاحتياطى • ويعارض البيت الابيض ذلك حتى لا تبــدو الولايات وكأنها فى حالة حرب ، وربما يدفع ذلك الصين لتتدخل بصورة ما . •

● يطالب مجلس الانقلاب بارســـال قوات الى لاوس لمنـــع مرور الامدادات الى « الفيت كونج » ولكن البيت الابيض يعارض ذلك باعتبار أن هناك معاهدة وقعت عليها الحكومة الامريكية بحياد لاوس • • !

● يطالب مجلس الاركان بمهاجمة بعض المراكز على حـــدود كمبوديا لتدعيم خطوط الدفاع الامريكية بدعوى أنها نقطة خطر عليهم فى فيتنام ، ويعارض البيت الابيض •

● يطالب المجلس العسكرى بتوسيع القاء القنابل على المدن والمراكز الصناعية فى فيتنام الشمالية •

ولعل نقط الخلاف هذه تفسر وقوع بعض حوادث تضطر أمامها الحكومة الامريكية الى الاعتذار ، أو ــ على الاقل ــ تقف فى موقف حرج ، مثل حوادث الاعتداء على حدود كمبوديا ولاوس ــ وقد قيل أيامها انها وقعت خطأ •• !

وربما كان وجود جهازين للحكم اليوم فى الولايات المتحدة هو السبب الرئيسى فى التخبط الذى تسير فيه السياسة الامريكية فى المجتمع الدولى حتى انها كثيرا ما تبدو بلا خط محدد •

وهناك احتمال ــ ولو أنه ما زال ضعيفا ــ فى أن العسكريين قد يجدون أنفسهم مضطرين ازاء الهزائم المتلاحقة عليهم فى فيتنام

الى القفز الى السلطة رسميا بدعوى ان الهزائم كانت بسبب رفض مطالبهم وليست لدخولهم المعركة خطأ •

والتخبط البادى فى السياسة الامريكية يرتبط . بالانقلابات العسكرية التى شهدها العالم الثالث خلال العامين الماضيين • فقد كانت الانقلابات أو التغيرات فى الحكم تجرى بين السياسيين وذلك قبل أن يتولى العسكريون الحكم الفعلى فى الولايات المتحدة • وتغير الاسلوب الى حد أنه فى فيتنام تتغير حكومة عسكرية لتأتى حكومة عسكرية أخرى ، وقد يقال ان الدولة فى حالة حرب ولكن حالة الحرب لا تفرض أن تكون الحكومة عسكرية • والمعروف أنه من أكبر أسباب الفشل الامريكى فى فيتنام هو عدم وجود حكومة حقيقية فى فيتنام ، ومع ذلك فهم ما زالوا يغيرون الحكومات فى دائرة مغلقة على العسكريين •

وقد سمعت فى القاعدة الاستراتيجية الامريكية ــ فورت براج ــ تفسيرا معقولا بأن وجود عسكريين فى حكم هذه البلاد يسهل عملية تفاهم العسكريين الامريكيين معهم • وقال لى الضابط الكبير ان التفاهم بين العسكريين رغم اختلاف لغاتهم وجنسياتهم أسهل وأسرع من التفاهم مع المدنيين السياسيين • وقلت له •• لعل ذلك يفسر سلسلة الانقلابات التى وقعت ضد الحكومات التى تعارض مخططاتكم .. فابتسم وتركنى ومضى .. !

● ذلك يجرى فى اطار عام من حرية الحركة التى قد تصل الى حد الفوضى فى بعض الأحيان • صحيح أنه ليس هناك حرية مطلقة لأن الانسان مقيد بتقاليد وثقافة وبالدعاية المستمرة التى يتعرض لها من أجهزة الضغط الأخرى • ولكن الصورة فى الولايات المتحدة تبدو ظاهريا أكثر بريقا لدرجة تجعل منها مرآة عاكسة تخطف الابصار • • وهناك أمثلة متعددة على ذلك :

● انه من حق كل فرد أن يتحدث فى أى شىء • فمثلا كانت التعليمات بألا يتحدث العسكريون عن أزمة نقص بعض قطع القنابل فى فيتنام •• ! ومع ذلك فقد سمعت من عدد ضخم من العسكريين نقدا مريرا لسياسة الحكومة العسكرية فى فيتنام ، وسوء الادارة فى وزارة الدفاع الأمريكية •

● امكانية تعرض اى شخص بالنقد اللاذع لشخص رئيس الجمهورية الامريكية

● السماح باعلان المعارضة بكل صورها لحرب فيتنام مع ان الحكومة الأمريكية فى حالة حرب فعلية • والعرف السائد فى العالم ان الحكومة التى تواجه حالة حرب تصبح كل القوى مجندة خلفها سواء وافقت أو عارضت الحرب حتى لا تتفكك جبهتها وقد حدث فى جامعة ويسكونسون الأمريكية أن عقد الطلبة أكثر من اجتماع أعلنوا فيه معارضتهم التامة لحرب فيتنام • وقد حضر الاجتماعات ممثلو الجامعة والحكومة المحليون دون أن يملك واحد منهم القدرة على منع أى شىء •• !

● فتح الأبواب الى اوسع مدى ممكن • فقد سمح مثلا للصحفيين الأجانب بالدخول الى قلب مراكز القيادة فى القواعد الحربية فى الولايات المتحدة ، ومشاهدة معظم الاسلحة والاجهزة وتصويرها فى أغلب الاحيان . وكثيرا ما تعود الوفود الصحفية مذهولة من هذه الحرية فتمضى بعض الاقلام ــ بلا قصد ــ تمدح التجربة الامريكية وهو كل ما يراد !

ولعل وقفة أمام المرآة العاكسة للضوء تكشف عن أن البريق اللامع ليس أكثر من شعاع ضوء صناعى ضاعفت المرايا من لمعانه لخداع الابصار للوهلة الاولى •

فالحرية التى تبدو فى الولايات المتحدة حرية بلا حدود ليست أكثر من حرية الصراخ بلا قيود •

فالجماهير تصرخ كما شاء لها ، وتهاجم بكل صورة تريدها ، والحكومه تمضى تنفذ ما تريد بلا توقف الا قبيل الانتخابات بقليل لتترك الفرصة لاجهزة الضغط المتعددة للتلاعب بعقلية الجماهير • فالشعب الامريكى ــ بلا شك ــ أصبح يعـــارض حرب فيتنام • وقد كنت أتصـــور أن المعارضة على مســـتوى أقلية مثقفة ، ولكن الحقيقة أبعد من ذلك • غير أن المعارضـــة لم تمنع الحـــكومة من مضاعفة القوات الامريكية فى فيتنام •

والعسكريون يصرخون ما شاءت قدرتهم على الصراخ أن ترتفع معارضة لسياسة الحكومة فى فيتنام ولكن هذا لم يمنع ماكنمارا عن أن يستمر فى مخططه • ولذلك فمسألة الأبواب المفتوحة لها منطق آخر •

فقد سمعت فى أكبر قاعدة بحرية فى الولايات المتحدة ضابطا كبيرا يقول :

« اننا نؤمن بأن القوة الحربية عديمة الفاعلية ما لم تكن معروفة للجانب الآخر • » وبالتالى فان كل ما تبغيه العسكرية الأمريكية هى أن يعرف كل شىء عن قوتهـــا الرادعة باعتبـــار أن الحرب العالمية أصبحت حرب عقول اليكترونية • وأكثر من هذا ، فمن الطبيعى أن تخاف أى دولة على قواعدها ومراكزها الحربية أن تتعرض لهجوم ما، ولكن أى هجوم على القواعد والمطارات الحربية فى الولايات المتحدة هو حرب عالمية ، وبالتالى فليس هنـــاك أى ضرر أو خوف من فتح أبواب المراكز القيـــادية الحربيـــة للصحفيين ، فالخوف من تسرب المعلومات ليس له وجود لأن هذه المعلومات معروفة للجانب الآخر •

آكثر من هذا ٠٠ لقد سمعت من السفير المتجول هاريمان الذى يشرح السياسة الأمريكية فى فيتنام لدول العالم مانصه ٠٠ ان من حق السناتور فولبرايت أن يعارض السياسة الأمريكية فى فيتنام وأن يهاجمها ماشاء له ذلك ، ولكن هذا الهجوم وهذه المعارضة ـ من رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس ـ لن تؤثر على جونسون. ويبدو أنه اذا كان من حق السناتور فولبرايت أن يعارض ويهاجم فان من حق الرئيس الامريكى أن يفعل ما يشاء أيضا ٠٠ فكل منهما يملك الحق فى الحرية !

وبهذه المناسبة فان أقلية هى التى تعلم أن الرئيس الامريكى يملك أكبر قدر من السلطات ـ منحها له الدستور ـ لا يتمتع بها أى رئيس جمهورية فى العالم كله حتى فى نظم الحكم الديكتاتورية لدرجة أنهم يقولون عنه انه ديكتاتور طبقا للدستور !

فهو بكل السلطات التى يملكها لا يستطيع أحد أن يحاسبه حتى أعضاء الكونجرس ، فالاستجوابات توجه للوزراء مع أنهم ـ طبقا للدستور ـ ليسوا أكثر من سكرتارية متخصصة للرئيس ـ ليس هناك منصب وزير ـ الذى يملك وحده الكلمة الأخيرة ٠ وربما كانت السلطة الوحيدة التى يقف الرئيس الأمريكى أمامها هى الصحافة فى المؤتمر الصحفى الدورى الذى يعقده ، ويكون بمثابة السلطة الوحيدة لمحاسبته ٠ وحتى هذا الحق الصورى عدله جونسون الذى لم يعد يعقد مؤتمرات صحفية دورية ، وهو أحد أسباب أزمته مع الصحافة الأمريكية ٠

وبعيدا عن المرآة العاكسة للضوء الخادع نجد أن الشعب الذى يملك هذا القدر من الحرية تقابله حكومة تملك الحرية بلا حدود تقريبا على عمل ماتشاء أيضا ٠

وقد يبدو فى هذا القول مبالغة أو شىء من الغرابة ولكن

الحقيقة أقوى من خداع البصر • فبقدر مايملك الفرد الأمريكى من حرية التعبير تملك الحكومة قدرا ان لم يكن أكبر فهو يماثله للعمل كما تشاء • **وليس غريبا أن تملك حكومة ـ فى مجتمع مفتوح مثل المجتمع الامريكى ـ هذا القدر من حرية العمل طالما كانت تقف على قاعدة ثابتة هى حتما ليست الجماهير ، ومع ان الحكومة ليست أكثر من واجهة سياسية لقوى المجتمع الأمريكى** ، فان القـوة التى تعتمد عليها الحكومة الأمريكية قد تنـــوعت من وقت الى آخـــر حسب الظروف • وهى فى الوقت الحاضر ليست الا واجهة سياسية لقوة العسكريين التى تحكم الولايات المتحدة فعلا الى حد أن أى انتخابات عامة مهما كانت لن تغير من جوهر السياسة الأمريكية التى لم تعد ترسمها الأحزاب فعلا • وكما قلت فان العسكريين حتى الآن ـ لا يعملون لحسابهم ، ولكن لحساب عدد من البيوت المالية هى التى تحتكر الثروة فى الولايات المتحدة • وتحالف العسكرية الأمريكية مع هذه الفئة الاحتكارية يجعـل من الأحزاب والجهـــاز الحكومى الأمريكى كله مجرد واجهة تختفى الحقيقة خلفهـــا • واذا كانت الولايات المتحدة بكل امكانياتها قد ضاعت فيها مثل هذه الحقيقة حتى عن شعبها ، فليس ذلك وليـد معـــجزة أو عيب فى الشعب الأمريكى ولكنه راجع ـ فى المحل الأول ـ الى قوة ونشاط هذا التحالف معتمدا على أخطبوط جهاز المخابرات المركزية الأمريكية لخنق أى صرخة تكشف الحقيقة •

فلم يعد سرا دور المخابرات الأمريكية فى المؤسسات الثقافية والعلمية ، والعمالية الأمريكية ، وأنها تلجأ الى أسلوب الاغراء أولا ، فان لم تظهر جدواه لجأت الى التهديد والتخويف • وقد كشفت أخبار نشاط المخابرات أنها امتدت الى معظم الجامعات الامريكية ، ودور النشر ، والمنظمات الطلابية ، والعمالية •

ومن المؤكد أن المخابرات الأمريكية لم تفعل الا مافيه حماية

المصالح الرأسمالية الأمريكية الحاكمة • فلو كان ماتفعله فى صالح المجتمع الأمريكي لما كان هنـــاك مبرر واحـد لتزييف المخابرات للحقائق ، وتزويرها صفحات التاريخ • ولعل أخطر ما فى الأنبـاء التى أذيعت عن نشاط هذا الجهاز ، أن كثيرا من الكتب التى توزع فى الولايات المتحدة والعالم كله يتم اعداده وتمويله عن طريق المخابرات • وتوزعه دور نشر لا أحد يعلم ـ على الاطلاق ـ صلتها بالمخابرات • والمشكلة هى أن الكتب تقدم فى اطار علمى ، وتعتمد كمراجع لكثير من الأبحاث دون أن يدرك أحد السموم التى بين سطورها •

أكثر من هذا أن المخـــابرات الأمريكية تحصـــل عن طريق الجامعات الأمريكية ومراكز البحث المبعثرة فى كل دول العالم تقريبا على مسح كامل ـ سواء كان جيولوجيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا ـ للدول التى تتحرك فيها •

ففى القاهرة مثلا قامت مؤسسة فورد بدراسة عن القيادات الريفية فى الجمهورية العربية المتحدة • وبالتالى أصبح لديها دراسة علمية عن اتجاه أى قيـــادة على أى مستوى قد تظهـر فى الريف المصرى فى السنوات القادمة •

وقامت جامعة أخرى ، فى وقت المجابهة مع الاستعمار الأمريكى بدراسة ميدانية لموقف الشباب المصرى من قضـــايا الساعة وفى مقدمتها تحرير فلسطين والاشتراكية والقومية •

وما جرى فى مصر تم مثله فى كثير من الدول ، أحيانا ـ ا ـ فى غفلة من حـكوماتها أو عن طريق عدد من الهـــدايا ممثلة فى سيارات فاخرة أو رحلات الى الولايات المتحدة أو منح دراسية لأبناء البعض •• !

ولا يبقى من هذا الحديث سوى آخر نقاطه • وهى محاولة تحديد فكر التحالف الرأسمالى العسكرى فى الولايات المتحدة حتى نتأكد من خطورته على بلاده ذاتها بنفس قدر خطورته على أمن العالم وسلامته :

١ ـ « عسكرة » الاقتصاد الأمريكى بمعنى زيادة صناعة الحرب الى حد تمتص معه قدرا متزايدا من القوى العاملة حتى ترتبط مصالح أكبر عدد من الطبقة العاملة باستمرار بوجود هذا الانتاج • والمعروف أن الانتاج الحربى هو أكثر قطاعات الصناعة الأمريكية أرباحا •

٢ ـ ترى فى تفجير أزمات دورية فى العالم تصل الى حد الحرب المحدودة نوعا من تنشيط الاقتصاد الأمريكى ، وترى فيه خط دفاع يمنع وقوع انتكاسة اقتصادية • وقد جربت ذلك فى اثارة حرب كوريا وفى فيتنام وفى الشرق العربى وكوبا •

ويضاف الى ذلك ـ من وجهة نظرها أيضا ـ أن فى الحروب المحدودة امتصاصا لمخزون الانتاج الحربى الأمريكى . مما يساعد على تجديد الانتاج ، وتزايد نصيب صناعة الحرب من النشاط الاقتصادى كله •

٣ ـ تحريك « الانقلابات العسكرية » فى الدول المعارضة للسياسة الأمريكية • وتفضيل هذه الانقلابات على أى أسلوب دبلوماسى ، أو سياسى للتعامل مع هذه الدول •

وهذا يفسر لنا انتشار موجات « الانقلابات المضادة » للثورات التى عمت أنحاء العالم الثالث فى خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة • ومنطق تحالف الرأسمالية والعسكرية الأمريكية فى ذلك هو أن مهمة التفاهم مع « العسكرية » فى دول العالم الثالث أسهل وأقصر

طريق لتحقيق مخططات السياسة الأمريكية ، خصوصـــــا وأن العسكريه في العالم الثالث ــ غالبا ــ متأثرة بمدارس الفكر الغربى أو هى على الأقل بدون مضمون من الفكر الثورى الاجتماعى •

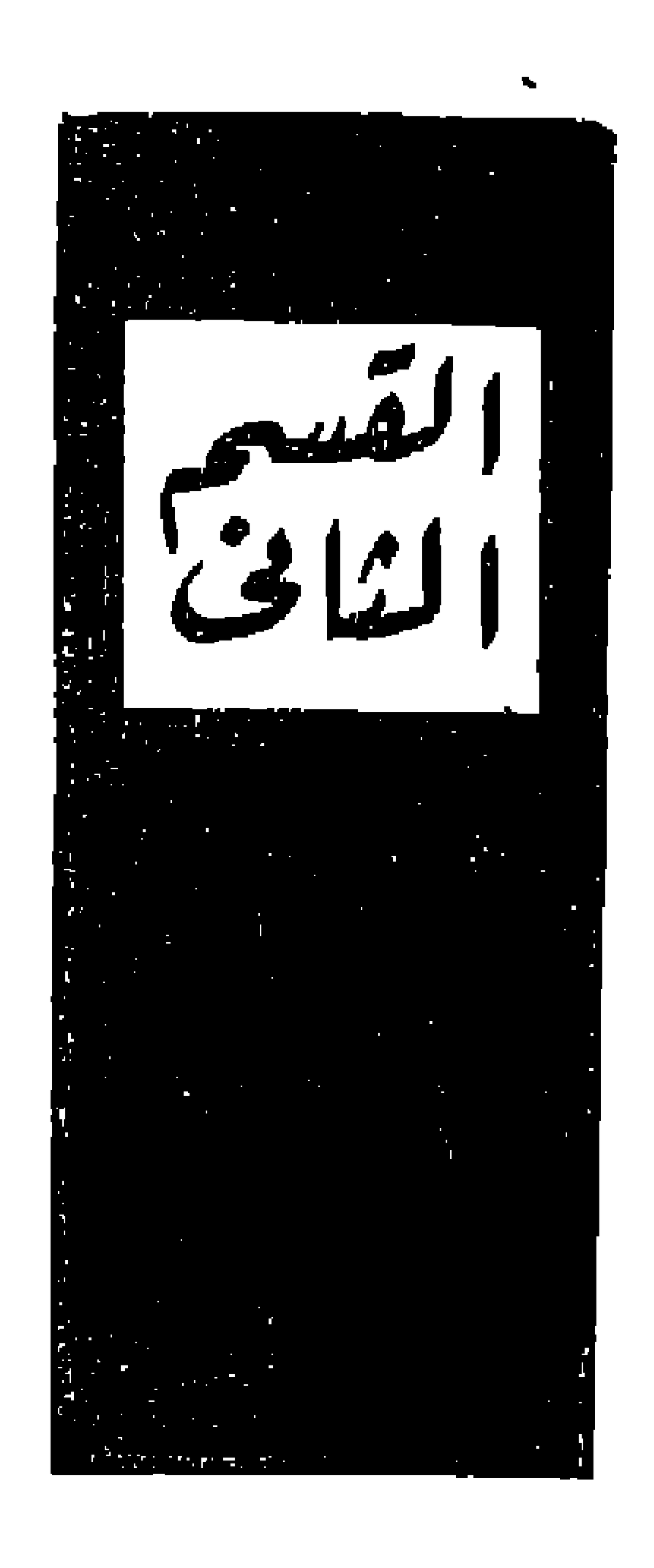
٤ ــ الاعتماد على القوة الحربية اذا لم تنفع وسائل المخابرات والاغراء والضغوط بأشكالها لتحقيق مخططات السياسه الأمريكية•

وقد شــــهدنا أمثلة لذلك فى كـــوبا والدومينكان والشرق العربى •

٥ ــ ان العســـكرية الأمريكية ــ اعتمادا على توازن الرعب الذرى بين الشرق والغرب ــ تعمل على دفع العالم الى حافة الهاوية بين وقت وآخر طالما كان فى ذلك صالحها ، ولتذكير الشـــعب الأمريكى بأهمية وجود المؤســسة العسكرية الأمريكية لأمنه ووجوده.

والغريب أن كل ضخامة المؤسسة العسكرية الأمريكية لا يحقق الحماية فى حالة الحرب الذرية الا لحوالى ١٠٠ ألف أمريكى هم جهاز الحكومة والقواد العســـكريون والطبقة الاحتكارية • وقد سمعت بنفسى من قادة الجيش الأمريكى أن ضحايا الدقائق الأولى من الحرب العالمية الثالثة لن يقل تعدادهم عن ١٥٠ مليون أمريكى من ١٩٠ مليونا ، والباقى سوف يكون أغلبهم مشردا أو مشوها •• !

ومن خـــلال ذلك كله تتضح حقيقة تحـــالف العســكرية والرأسمالية فى الولايات المتحدة ، هذا التحالف الذى يحكم قبضته على جهاز الحكم الأمريكى •• بالتالى يسير السياسة الأمريكية وفق مصالحه وتبع مشيئته ، وهو يتبع سياسة مغلفة بأقنعة متعددة الأشكال من الخطأ تسميتها بالاستعمار الجديد •



أقنعة الاستعمار الأمريكى

- المساعدات
- القواعد والأحلاف
- الاستثمارات
- المؤسسات الثقافية
- اسرائيل

ان الإستعمار عادة كان يلجأ الى « صانع الاقنعة » ليقدم اليه احتياجاته • ولم يكن هذا الصانع خـــلال القرنين الماضيين مجـددا ، بل لم تكن بضاعته تخرج عن « بعثات التبشير » التى قال عنها احد زعماء افريقيا انها اعطتنا الانجيل واخذت منا الأرض » • وشركات التجارة التى كانت تنزح ثروات الأمم الى عواصم الدول الاستعمارية ، و « نظام الانتداب » ، تحت راية عصبة الأمم بين الحربين ، والذى من خلاله اقام الاستعمار اسرائيل ، ثم نظام الوصاية تحت راية الأمم المتحدة والذى عن طريقه حصلت الولايات المتحدة على عدد من الجزر فى المحيط الهندى وليس لأحد حق الاشراف على ادارتها لها •

وأراد الاستعمار الامريكى أن يكون مجددا ، خصوصا وان تغيرات جوهرية قد حدثت فى ظروف العالم وأوضاعه • وكان لا بد من البحث عن تاجر جديد للأقنعة يقدم للاستعمار الامريكى احتياجاته بعد أن أصبحت كل الاقنعة القديمة تكشف عن الوجه القبيح للاستعمار •• وكانت هذه الأقنعة التى هى فى حقيقتها ليست أكثر من تطوير أو تحوير للاقنعة القديمة للاستعمار . وكل واحد منها يستحق الوقوف عنده بعض الوقت .

الفصل الثالث

المساعدات الأمريكية

صحيح ان « المساعدات » كقناع من بين أقنعة الاســـتعمار لم يكن من ابتكار الاستعمار الأمريكى ، بل سبقه اليه الاستعمار البريطاني الا أن ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانيـــة جعلت من الاستعمار الامريكى أبرز مستهلك لهذا النوع من الأقنعة. وهى نفس الظروف التى أوضحت أن المساعدة ليست وليدة «مثالية» السياسة الأمريكية أو أخلاقياتها ، وانما هى نتاج دافع اقتصادى.

والبداية التى تحدد اطار هذا القناع الاستعمارى هى الحرب العالمية الثانية نفسـها ، فقد استفادت منها الولايات المتحدة فى :

(أ) امتصاص البطالة التى كانت تصل وقتها الى ٧ ملايين عاطل .

(ب) مضاعفة الانتاج الصناعى حيث بلغ مثلا ســنة ١٩٤٤ ٢٠٨٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧ .

(حـ) زيادة الانتاج الزراعى بدوره حتى بلغ فى ســنة ١٩٤٤ ١٢٨٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧

وباختصار ، استفادت الولايات المتحدة رواجا اقتصاديا من دمار العالم ــ وما أن قاربت الحرب نهايتها حتى بدأت معدلات الرواج تتناقص وبسرعة حتى أن الانتاج الصناعى بلغ سنة ١٩٤٦ ١٥٠٪ مما كان عليه سنة ١٩٣٧ • وقفز عدد العمال العاطلين من الصفر أثناء الحرب الى ٢ر٤ مليون بعد عام واحد من نهايتها • وهبطت الصادرات من حوالى ١٥ مليار دولار الى ١٠ مليارات فقط أى بنقص حوالى الثلث • وكان ذلك نتيجة ما أصاب السوق الأوربية من دمار الحرب ، واستنزاف كل مخزونها من احتياطى الذهب وتتضح أهمية ذلك لو عرفنا أن نصف الصادرات الأمريكية كانت تتجه الى السوق الأوربية •

وكان طبيعيا أن تسعى الولايات المتحدة الى انقاذ اقتصادها من شبح الأزمة الاقتصادية الذى كان يتجسم فعلا • وفى ظل هذا الاطار العام خرج جورج مارشال وزير الخارجية الأمريكية ــ مع ملاحظة أنه جنرال أى ممثل للعسكرية الأمريكية وتحالفها مع الرأسمالية الأمريكية ــ فى بداية سنة ١٩٤٧ بمشروعه المعروف « بمشروع مارشال » بهدف انعاش الاقتصاد الأوربى من آثار الحرب العالمية الثانية • ولم يكن طبعا هدف الانعاش وجه أوربا وسلامتها ولكن المقصود كان صالح الاقتصاد الأمريكى • بل ان مشروع مارشال كان نوعا من الوصاية الأمريكية على أوربا ، أو هو بمثابة المفتاح لخزائن أوربا التى ظلت مغلقة فى وجه الرأسمالية الأمريكية حتى الحرب العالمية الثانية ، وأهم ما تحققه فرصة التسلل والوصاية الأمريكية على أوربا ليس فقط السيطرة على الصناعة الأوربية بل والتسلل من خلالها الى المستعمرات الاوربية •

ويكفى لتوضيح أن مشروع مارشال كان استعماريا ولم يكن مساعدة لدول أوربا أن نوضح النقط التالية : ــ

١ ــ أنه كان يقوم على اتفاقيات ثنائية تبغى زيادة انتاج مواد خام معينة يجرى الاتفاق عليها بين الولايات المتحـــدة والحكومات الأوربية الموقعة على الاتفاقيات ، وكانت الصناعة الأمريـــكية فى حاجة الى هذه المواد •

٢ ــ والأهم من ذلك هو النص فى هذه المعاهدات على أن تقدم الدول التى قبلت المشروع فى بيانات واحصاءات عن كيفية استعمالها للمساعدات الأمريكية ، ومدى التطور والتغير الذى يحدث ، وضرورة موافقة واشنطن على مجالات الصرف •

٣ ــ فتح الأسواق الأوربية للانتـــاج الأمريكى ، وذلك عن طريق تخفيف الحواجز الجمركية • والغريب أن اتفاقيات مشروع مارشال شملت فتح الأسواق الأوربية للمطبوعات الأمريكية بدون رقابة • وكانت المفاجأة للدول الأوربية هى أن معظم المطبوعات عبارة عن مجلات الجنس والجريمة . واضطرت الدول الأوربية الى التغاضى عن تطبيق قوانينها نظرا لاحتياجها الى الأموال الامريكية. فالقانون مثلا فى بريطانيا وايطاليا يحرم بيع الصور العارية ، ومع ذلك فالصور والمجلات الجنسية الامريكية تغرق المكتبات وشوارع هذه الدول ، وكلها دخل من خلال مشروع مارشال ! وكأن الصور العارية نوع من الانعاش للاقتصاد الأوربى •

وقد اعتمد للمشروع فى عامه الأول مبلغ ٥٫٣ مليار دولار بعد أن قدر للمشروع انفاق ٦٫٢ مليـار دولار ، ولـــكن الكونجرس الأمريكى خفض المبلغ •

وفى نفس الشهر ـ مارس ـ من سنة ١٩٤٧ أعلن الرئيس الأمريكى ترومان المشروع الذى عرف ـ بعد ذلك ـ بالنقطة الرابعة • وكان ترومان فى عرضه لبرنامجه أكثر صراحة فى توضيح أهداف السياسة الأمريكية حيث قال •• لقد دلت التجربة على أن ازدهار تجارتنا مع الدول الأخرى مرتبطة بتقدم هذه الدول اقتصاديا • » ومشروع ترومان هو الوجه الآخر للمخطط الأمريكى • فمشروع مارشال موجه نحو أوربا ، أما النقطة الرابعة فهى للدول المتخلفة •

وانحصرت أغلبية الانفاق على المساعدات الأمريكية على نطاق الدول المرتبطة « بالأمن المتبادل » • وهو الارتباط فى أحلاف مع الولايات المتحدة ، وانى أكتفى بالاشارة اليه هنا باعتبار أنه سوف يكون موضوعا منفصلا بعد ذلك •

وقد تعددت بعد ذلك المشروعات والأجهزة التى تتولى الانفاق الى أن جاء كيندى الى الرياسة الأمريكية ، وكان من أول ما قرره هو توحيد أجهزة المساعدات لتخضع لجهاز واحد • وشكل لجنة فى ديسمبر سنة ١٩٦٢ برياسة كلاى المبعوث الأمريكى السابق ببرلين ـ وهو أيضا جنرال آخر ـ لدراسة برنامج المساعدات كلها على ضوء تجارب ١٧ عاما • واستمر عملها ٣ أشهر انتهت الى أن الولايات المتحدة قد أنفقت ١٠٠ مليار دولار ذهب أغلبها هباء ، حيث أنفقت على بناء قصور فاخرة لحكام الدول المتخلفة ، أو لبناء مبان حكومية سخية التأثيث عامرة بالرفاهية ! وكان من محصلة ذلك أن كسبت الولايات المتحدة عداء الشعوب ، ولم تحقق أى مصلحة •

فقد أنفقت ٦ر٦ مليار دولار على دول أمريكا اللاتينية ، ومازالت المنطقة تعيش على فوهة بركان • فلا هى تقدمت اقتصاديا

لضآلة المبلغ ، ولا هى استقرت فى نظم حكمها ، بل ان شعوب القارة كلها تحمل لواشنطن شعورا علنيا بالعداء .

والواقع أن هذه النظرة الأمريكية بالغة الضيق ، فليست المسئولية واقعة على دول أمريكا اللاتينية ، ولكنها تقع أساسا على المسئولين عن السياسة فى واشنطن نفسها ، لأنهم لم يقدموا هذه الأموال الا لحكومات غير شعبية أو هى جاءت على أكتاف انقلابات عسكرية لعبت الدور الأول في وقوعها . ليس هذا فحسب بل ان كل المساعدات لم تكن تتجه الى مشروعات انتاجية ، بل الى سلع استهلاكية ، ومبان فاخرة ، وقصور ، وسيارات للحكام غير الشعبيين ، أكثر من هذا ، أنه يوم يأتى الى الحكم رجل من الشعب تحاربه الولايات المتحدة خوفا من خروج بلاده من مناطق نفوذها .

وصحيح كما قالت لجنة كلاى أن أمريكا قد انفقت ٤٨ مليار دولار على أوربا الغربية لاعادة بناء ما حطمته الحرب العالمية الثانية منها . وفي الوقت الذى أعيد فيه بناء أوربا ، اذا بهذه الدول ترفض ان تساهم فى الأعباء العسكرية للعالم الغربى وتترك هذه المهمة لواشنطن وحدها .

لقد أرادت الولايات المتحدة من تلك الدول أن تشارك بالمال والرجال فى الأعباء العسكرية بشرط ألا يكون لحكومات أوربا أى اشراف على الخطط العسكرية التى يتم رسمها فى وزارة الدفاع الأمريكية وحدها ! .

وصحيح أن أمريكا قد أنفقت ٧٠٠ مليون دولار فى أفريقيا دون أن يتغير ميزان القوى لصالحها في القارة .

ومرة أخرى ، ليست هذه مسئولية دول أفريقيا ، ولكنها مسئولية واشنطن التى تريد أن تشترى بمساعداتها استقلال هذه

الدول ، ثم تذهب لتتهمها « بنـــبكران الجميل » لأنها رفضت بيع استقلالها ! • ثم ان الدول الأفريقيـة التى حصـــلت على أغلب المساعدات هى دول لها موقف خاص ، فأكثر الدول التى حصلت على المساعدات فى أفريقيـا كانت ليبريا الحليف التقليـــدى للولايات المتحدة ، ومع ذلك فانه لم ينفق دولار واحد فيها على اقامة مصنع انتاجى ، وانما أنفقت المساعدات على وسائل الرفاهية ، واقامة فنادق للسياح الامريكيين باعتراف احدى لجان الكونجرس الامريكى نفسه ! ..

وأنفقت أمريكا ٦٫٥ مليار دولار على جنوب شرقى آسيا • ومع ذلك فان لاوس على فوهة بركان ، وفيتنام تشـــتعل بالكفاح الشعبى ضد القوات الأمريـــكية وفورموزا فى عزلة خانقة تنتظر مصيرها •

وهكذا نجـد أنه فى الوقت الذى اعترفت فيه لجنة كلاى بأن المساعدات ضاعت هباء نجدها نسيت تحديد المسئولية عن ضياع هذه الأموال بدون نتيجة •

الأغرب من هذا ، أنه تقرر علاجا للأخطاء التى ظهرت خلال ١٧ عاما وضع قواعد جديدة هى دليل مادى على أن المساعدات ليست الا قناعا للاستعمار الأمريكى • وأهم هذه القواعد !

● أن يكون من الأهداف الرئيســـية للبرنامج التركيز على الاستثمار الخاص فى الدول التى تحصل على هذه المساعدات ، وبمعنى أدق تشجيع تقديم المساعدات للمشروعات غير الحكومية •

وحجة الحكومة الأمريكية فى ذلك أنها لو ساعدت مشروعات قطاع عام فهى بذلك تدعم النظم الاشتراكية مع أن هدف البرنامج أساسا هو محاربتها ، بل انها تهدف كذلك الى المساعدة على تقوية القطاع الخاص للاعتماد على نشاطه فى تحقيق المخططات الأمريكية :

● أن يكون من أهداف البرنامج الأولى أن تكون المساعدات لتدعيم وضمان أمن وسلامة العالم الغربى ، الأمر الذى يعتبر معه تحول أى دولة الى النظام الاشتراكى تهديدا مباشرا لأمن الغرب !

وامتدادا لهذا الهدف لا تقدم المساعدات للدول التى تقف موقف المعارضة من السياسة الأمريكية . وبذلك تؤكد الحكومة الأمريكية أن المساعدات تقدم على أسس سياسية وليست اقتصادية .

وعلى ضوء ذلك ظهر أن ٨٠٪ من المساعدات الأمريكية قد ذهبت الى ٢٠ دولة فقط فى العالم ، بينما ذهبت النسبة الباقية ـ ٢٠ ٪ الى ٧٥ دولة .. !

وهذا مبدأ خطير يجعل المساعدات الأمريكية بمثابة قيد على سياسة هذه الدول التى تقبلها ، وبالتالى فانه يحد من استقلالها .

● انه اتضح ن نصف برنامج المساعدات التى تحصل عليها الدول تنفق خارج الولايات المتحدة مما اعتبرته الحكومة الأمريكية تهديدا لاقتصادياتها ، ولذلك تقرر ضرورة صرف ٨٠٪ من المساعدات الأمريكية على الأقل داخل الولايات المتحدة ..!

أكثر من ذلك فان القروض ترد بالدولارات بدلا من الشروط السابقة بقبول سدادها بالعملات المحلية أو منتجات هذه الدول ، وهو قيد أعتقد أنه لا يحتاج الى مزيد من التعليق فأرقامه تغنى عن أى كلمة اضافية .

وجاء جونسون بعد اغتيال كنيدى ليزيد من قيود المساعدات الأمريكية على استقلال الدول التى تقبلها فأضاف :

١ ـ تخفيض اعتماداتها الى أضيق نطاق ممكن حتى أنها وصلت الى أقل اعتماد خصص لها خلال الأعوام العشرين .

٢ ـ الاعتماد على القروض بدلا من المنح والمساعدات حتى أنه أصبح ٧٠٪ من البرنامج فى شكل قروض تسـدد بالطريقة التى سبق أن تقررت فى عهد كنيدى •

٣ ـ رفع نسبة الانفـاق داخل الولايات المتحـدة على السلع والخدمات الأمريكية من اعتمادات المساعدات الى ٨٦٪ •

٤ ـ تضييق نطاق المساعدات فى أقل عدد من الدول الحليفة المضمونة اتجاهاتها الى حد أن ثلثى برنامج المساعدات العسكرية تقرر صرفه فيما بين ١١ دولة فقط وهى الدول التى تقع على حدود الكتلة الشرقية • وتقرر وقف المساعدات الاقتصادية عن ١٧ دولة ، بالاضافة الى ١٤ دولة أخرى تحصل على مبالغ اسمية فقط ••!

وكانت النتيجة :

● أن ١٠ دول فقط قد أصبحت تحصل على ٧٥٪ من مجموع المساعدات الأمريكية •

● أن ٦٥ ٪ من القروض أصبحت تذهب الى ٧ دول فقط ،

● أن ٨٨ ٪ من اعتماد « الطوارىء » يذهب الى ٣ دول فقط ، والنسبة الباقية تنفق على ٨ دول •

والواقع أن ظاهرة الانكماش هذه لاترجع الى أسباب سياسية فقط كما تحاول أن تظهرها الحكومة الأمريكية ولكنها ترجع أيضا الى أزمة اقتصادية فى الولايات المتحدة نفسها ، حيث أصبح الانفاق أكبر من الايرادات ممـا جعل العجز فى ميزان المدفوعات فى تزايد مستمر ، وكان من الحلول المطروحة أمام الحكومة الأمريكية ـ حسب خطة الفئة الحاكمة ـ أن تخفض المساعدات وأن ينشـط الاقتصـاد الأمريكى بالحروب المحدودة •

والغريب أن جوانب الخطأ فى برامج المساعدات الأمريكية لم تطرح مرة واحدة على بساط البحث فى الكونجرس الأمريكى •

وقد يرجع ذلك الى أن أعضاء الكونجرس الأمريكى يناقشون برامج المساعدات الخارجية سنويا ويوافقون عليها أو يعترضون دون أن يعرفوا التفاصيل أو القواعد التى وضعت على أساسها وليس هذا لأن الحكومة تخفى عنهم شيئا ، ولكن لأن هذه القواعد والنظم يضمها كتاب يصل الى ٢٥٠ صفحة يوزع على الأعضاء الذين لا يجدون وقتا لقراءته لانشغالهم ٠!

وتكون النتيجة أن خمسة أو ثمانية أعضاء فقط هم الذين يقرأون ويناقشون والباقى يوافق أو يعترض حسب الجانب الذى يقف فيه من العضو المتحدث !٠

وأن المساعدات الأجنبية بالرغم من حيويتها للسياسة الأمريكية لا تثير اهتمام أعضاء الكونجرس ٠ وهذا أيضا يفسر أن عدد الذين يشتركون فى مناقشتها محدود للغاية ٠ فكل عضو يعرف أن موافقته أو اعتراضه على برنامج المساعدات لن يكسبه أصواتا انتخابية ٠

وتأكيدا لأن الشعب الأمريكى نفسه لا يهتم مثل نوابه بالبرنامج أشار همفرى نائب الرئيس الأمريكى بأنه اذا كانت الموافقة على البرنامج لا تكسب العضو أصواتا انتخابية فهى أيضا لا تفقده شيئا من أصواته !٠

واذا كانت هذه هى الصورة فى الداخل فانها فى الخارج وعلى النطاق الدولى ان لم تكن مثلها فهى أكثر منها ٠ ولعل الكلمة التى تكشف عن ذلك هى التى ألقاها السناتور واين مورس فى أثناء مناقشةالبرنامج بمجلس الشيوخ ٠ فقد قال « الحقيقة أن مساعداتنا الأجنبية تصنع مئات الألوف من الشيوعيين الذين ينتشرون فى العالم كل عام ! » ٠

وقد يكون السناتور مورس فى هذه الكلمة معذورا ، فالمساعدات الأمريكية فى كثير من الدول فعلا تصنع فى كل عام مزيدا من الأعداء للسياسة الأمريكية وهى بطريقة غير مباشرة تدعم الحركات الوطنية المعارضة للنفوذ الامريكى • والخطأ الشائع على مدى العشرين عاما الماضية فى السياسة الأمريكية هو أن كل من يعارض السياسة الأمريكية شيوعى • فالذى حدث هو أن ٧٠٪ من المساعدات الأمريكية تذهب الى حكومات لاتعيش على رضا شعوبها• وبالتالى تصبح الحكومة الأمريكية فى نفس الجانب الذى تقف فيه الحكومات التى لا تحقق مطالب الشعب • وبقدر شعور العداء لدى هذه الشعوب لحكوماتها يصبح هناك عداء مماثل للسياسة الأمريكية التى تدعم موقف هذه الحكومات ! •

وقد اعترفت ــ منذ سنوات ــ لجنة من الكونجرس بأن معظم المساعدات الأمريكية تنفق على رفاهية الحكام وبناء القصور والمبانى الحكومية الفاخرة فى الوقت الذى تعيش فيه شعوبهم فى فقر •

والخطأ هنا ليس على الشعوب التى تكافح من أجل وجودها ومستقبلها وانما هو قطعا يقع على واضعى السياسة الأمريكية وحدهم •

والمظهر الدولى الثانى لخطأ السياسة الأمريكية من خلال المساعدات الأجنبية اعتقاد خاطىء يسود بين أغلبية أعضاء الكونجرس بأن المساعدات الأمريكية سيف حاد فى أيديهم يخيفون به الدول التى تعارضهم • فيمنعون المساعدات عن هذه الدول أو تلك •

ومصدر الخطأ هنا يتضح من نقطتين :

● عدم ادراك للتجارب الماضية التى تؤكد أن هذه الدول لم تخضع واحدة منها للضغط أو قبلت أن تبيع استقلالها ، بل ان

هذه الدول بدلا من أن تخضع ، اما أن أخذت طريقا معاديا تماما للسياسة الأمريكية أو على الأقل تقف فى موقف وسط • ولعل ما يستحق الملاحظة فعلا أن الولايات المتحدة خلال العشرين عاما الماضية — هى كل تجربتها الدولية منذ أصبح لها دور دولى — لم تكسب صداقة دولة جديدة من خارج نطاق صداقاتها التقليدية •• والأخطر من ذلك أنها فى كل عام تفقد عددا من الدول الصديقة لها بمجرد أن تسقط الحكومات القائمة فيها أمام زحف حركة وطنية أصيلة •

● ان موقف الذين يناقشون برنامج المساعدات الأمريكية هو موقف « غنى الحرب » الذى خرج من عالمه المحدود الى العالم المفتوح على ظن أن العالم ليس به سواه فى الغنى والقوة ، مع أنه لو نظر الى أبعد من مواقع أقدامه لاكتشف الحقيقة •

ان المساعدات الأجنبية لم تعد احتكارا على الولايات المتحدة ، بل ان هناك دولا بحكم انقسام العالم الى كتلتين تنافس الولايات المتحدة فى هذا المجال حتى فى داخل نطاق الكتلة الغربية نفسها ، والخاسر فى أى من هذه الظروف لن يكون غير الحكومة الأمريكية • فالدول التى أصبحت تتحرك فى مجال المساعدات الأجنبية مع الولايات المتحدة غير الاتحاد السوفييتى هى فرنسا ودول أخرى كثيرة • الا أن فرنسا بالتحديد هى التى تحاول أن تدخل من باب المساعدات الى كل مكان تخرج منه أمريكا •

ويكفى أن نعلم أن فرنسا قدمت فى العام الماضى ٩٨٠ مليون دولار مساعدات أجنبية • وأن ديجول ينوى زيادة برامج فرنسا للمساعدات فى العام الجديد •

ويترتب على ذلك مزيد من النقد فى الكونجرس للعالم ،

ومزيد من اتجاه دول العالم للتعاون مع دول على خلاف مع الولايات المتحدة ٠

وأخلص من هذا كله الى أن المســـاعدات الأمريكيـــة لم تكن مساعدات لدول العالم لمثالية الحكم الأمريكي ، ولكنها كانت مساعدة للاقتصاد الامريكى نفسه لانقاذه من شبح انهيار كان يقترب منه ٠

وبرغم ذلك فان الولايات المتحدة قدمتها فى اطار جعلها قيدا على استقلال الدول ، ويبدو انها كانت تريد مقابلا لها شراء دول العالم ٠ فلما رفضت بعض الدول هذه الصفقة الخـــاسرة واجهت حربا شعواء من الحكومة الامريكية وأجهزة مخابراتها ، الى جانب حرمانها من شرف الحصول على المساعدات .

والغريب أن الحكومة الأمريكيـــة لم تدرك ـ رغم الســنوات الطويلة والصفعات التى تعرضت لهـــا ســياستها ـ انها الدولـــة الوحيدة فى العالم التى تخسر مع كل وقت يمر دولة من الدول التى كانت صديقة لها ، وأنها وحدها الدولة التى لم تكسب صديقا جديدا ٠ بل ان السياسة الأمريكية بسيرها الطبيعى كانت تتعمد اذلال حلفائها حتى أن البعض منهم لم يستطع حفاظا على موقعه فى الداخل الا أن يتمرد على السيادة الأمريكية المفروضة عليه ٠

حتى الدول التى قبلت الولايات المتحدة أن تعطيها مساعدات غير مشروطة . ظهر من الســياسة الأمريكية انها كانت تغريها على التحالف ، وأن تتركها مع الوقت تعتمد على مورد المســـــاعدات لتقطعه عنها فجأة مما قد يجعلها ترضخ لارادة الاستعمار الأمريكى ٠

ولم تكن المشكلة فقط فى أن المساعدات الامريكية هى قناع يخفى وجه الاســـــتعمار الامريكى عن الشعوب ، بل كان أخطر

ما فى هذه المساعدات أنها فتحت ابواب اقتصاديات هذه الدول لدخول الرأسمالية الامريكية فى كل مكان يمكنها أن تصل اليه .

فالمساعدات بجانب أنها كانت فى حد ذاتها قناعا للاستعمار فقد كانت ـ فى نفس الوقت ـ « قنطرة » عبور لقناع بل لأقنعة أخرى للاستعمار الأمريكى .

حتى الأفراد الذين بعثت بهم الحكومة الامريكية تحت اسم الخبراء لم يكن أغلبهم الا أجهزة اتصال لنقل كل ما تصل اليه أعينهم الى واشنطن .

فقد ظهر مثلا أن منظمة أمريكية تحمل اسم « اعادة البناء والتدريب » وتعمل على صعيد أفريقيا تقوم بنشاط واسع للحصول على امتيازات تنظيم البريد ، والاتصال اللاسلكى ، واتضح من نشاطها أنها ـ عن طريق ما حصلت عليه من امتيازات عمل ـ تقوم بالمراقبة والتجسس على نشاط الأفريقيين .

وربما كان مما يستحق الذكر أن الولايات المتحدة كانت تعرف جيدا كيف تغلف هدفها وتخفيه عن الدول حديثة الاستقلال . فهى تدرس جيدا المنافذ التى يمكنها أن تتسرب منها الى هذه الدول ، ثم تقدم اليها اقتراحات العمل .

ثم أليس غريبا بعد هذه السنوات من برامج المساعدات الامريكية ألا نجدها قد ساهمت فى مشروع انتاجى واحد أو تحركت من خلال خطة تنمية اقتصادية فى أية دولة ؟ ، بل انها ترفض تماما أى محاولة لاشراكها فى مشروع انتاجى حقيقى . وأمامنا خير مثال على ذلك وهو موقف الحكومة الامريكية من مشروع بناء السد العالى فى الجمهورية العربية المتحدة .

ولم تكتف الولايات المتحدة بذلك بل انها سيطرت ـ بحكم

غناها ــ على معظم المؤسسات الدولية المتخصصة فى المساعدات الاقتصادية ، وفى مقدمتهــا مؤسسة التنمية ، وصــندوق النقد الدولى . وكلاهما تابع للأمم المتحدة . فهى بحكم عوامل كثيرة تملك النصيب الأكبر من راسمال هذه المؤسسات وبالتالى من أصواتها . وأمامنا مثال من عشرات الأمثلة وهو تراجع صندوق النقد الدولى عن الاتفاق الذى تم مع الجمهورية العربية المتحدة قبل العدوان الثلاثى الجديد ، وهو نفس ما سبق أن حدث من البنك الدولى بالنسبة لتمويل السد العالى قبل العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ .

وقد أصبحت امكانيات هذه المؤسســات الدوليــة فى خدمة حليفات أمريكا والدول التى كان مفروضــا أن تكون آخر من يستفيد منها . فبريطانيا تحصل على قروض لا حدود لهــا لانقاذ اقتصادها حتى أنها لم تعد قادرة على السداد . ومع ذلك يقدم لها المزيد من القروض مادامت لا تعارض السياسة الامريكية وتسير فى رحابها . ولم يفكر أحد من المشرفين على هذه المؤسسات أن يرسل بعثة الى بريطانيا لدراسة أوضاعها مثلما يحدث مع الدول النامية ، والتى هى أشد احتياجا لهذه الأموال لعمليات البناء الاقتصادى بعكس دولة مثل بريطانيا التى تحصــــل على قروض لسد العجز الذى يتخلف عن انفاقها على قواعدها العســـكرية المبعثرة فى أنحاء العالم للدفاع عما بقى من الامبراطورية البريطانية .

حتى اسرائيل نجدها تحصل على ماتشاء من هذه المؤسسات الدولية وبسهولة تثير علامات تساؤل لا عدد لها .

وباختصار ، فان الولايات المتحدة قد استغلت كل الامكانيات المتاحة للعالم لتنفيذ مخططاتها ، حتى كادت أن تصــبح المؤسسات الدولية مجرد واجهة أخرى للمساعدات الامريكية .

ويكفى دليلا على أن الولايات المتحدة تتصور أن مساعداتها ليست الا ثمنا لاستغلال الدول التى تحصل عليها ، أن وزارة الخارجية الامريكية قدمت للرئيس جونسون تقريرا عقب تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة على عدوان اسرائيل فقد نشرت صحيفة واشنطن بوست ملحقا له يوم ١١ يوليو ـ ١٩٦٧ ـ وجاء فيه ان دولا من التى تأخذ مساعدات أدلت بأصواتها ضد الموقف الامريكى ومثال ذلك اسبانيا التى حصلت على ٣ مليار دولار حتى الان واليونان التى حصلت على ٣ مليار دولار فى ظل النقطة الرابعة وتركيا التى نالت ١٠ مليارات وباكستان التى حصلت على ٤ مليارات • وبناء على ذلك لابد من اعادة النظر فى برامج المساعدة لهذه الدول •• !

وكانت الملاحظات الامريكية ـ ! ـ هى أن اكثر الدول التى حصلت على مساعدات هى فى مقدمة الدول التى تعارض السياسة الامريكية •

فاوربا حصلت على ٤٧ر٧ مليار دولار نال فرنسا منها ٩ر٤ مليار وهى التى تقود الجبهة الاوربية المعارضة •

وجنوب شرقى آسيا امتص ٢٧ مليار دولار اخذت الهند منها ٧ر٦ مليار وهى مازالت مصممة على سياستها •

وهكذا مضت بالارقام تحصر آثار انفاق ١٢٨ مليار دولار خلال ٢٠ سنة منها ٩ر٣٦ مليار مساعدات عسكرية دون أن تحقق كل المطلوب وهو أن تكون هذه الدول مجرد ظلال للموقف الامريكى •

الفصل الرابع

القواعد والأحلاف الأمريكية

ارتبطت المساعدات الامريكية بقـــانون أمريكى معروف بقانون « الأمن المتبادل » ، حتى أن الدول المرتبطة بهذا القانون هى التى حصلت على أكثر من ٦٠٪ من المساعدات الامريكية .

والهدف الظاهر علانية لهذا القانون والمساعدات العسكرية التى تدفقت من خلاله كان هو حصر الشيوعية فى نطاق الدول التى اعتنقتها حتى لاتنتشر الى غيرها . وقد أخذت سياسة الحصر هذه الصور :

● أحلاف عسكرية شملت كل مناطق العالم تقريبا ، حتى أنه ما من منطقة الا وكان للولايات المتحدة فيها حلف من الأحلاف .

● قواعد عسكرية مبعثرة على دول العالم حتى بلغت ١٤٠٠ قاعدة فى ٤٨ دولة ، ويتمركز فى هــذه القواعــد مليون جندى أمريكى ، أى حوالى ثلث القوات المسلحة الامريكية ، وهذايكلفها ٤ر٣ مليار دولارسنويا .

● معاهدات دفاع مشترك ثنائية مع الدول التى حالت ظروفها دون الانضمام الى الأحلاف لأى سبب من الأسباب .

وقد كان هناك ما يمكن الادعاء به بأن هذا المخطط هو حلقة للدفاع عن العالم الرأسمالى وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن الأيام كشفت أن هذه الادعاءات لم تكن أكثر من نسيج القناع الجديد للاستعمار الامريكى .

فهذه القواعد والأحلاف فرضت على الدول التى قبلتها تحت ضغط الحاجة الى المساعدات الامريكية التى كانت بمثابة رشوة لشراء الحكومات التى قبلتها .

ولعل ما يؤكد أن هذه الأحلاف والقواعد والمعاهدات لم تكن لمجابهة الاتحاد السوفيتى ، أن معظمها كان فى مناطق بعيدة تماما عن العالم الشيوعى ، ولم تكن تواجه أية احتمالات بالتعرض لخطرها .

هذا مع ملاحظة أن أحدا فى المجتمع الدولى لم يكلف الولايات المتحدة بمهمة الدفاع عن العالم ضد خطر غير موجود الا فى مخططات الرأسمالية الامريكية .

والغريب أن جون فوستر دلاس نفسه وزير خارجية أمريكا السابق قد قال فى كتابه « حرب أم سلام » ان الشيوعية لا يمكن مواجهتها بالجيوش والطائرات ، لأنها فى الأساس عقيدة ، والعقائد لا تحارب بالسلاح .

ومع كل هذا المنطق الذى يؤكد أن سياسة الحصر ليست الا قناعا للاستعمار الامريكى ، الا أن هناك ما هو أقوى من المنطق، وأعنى به استراتيجية الحرب .

فالمعروف أن العالم محكوم بتوازن ذرى بين موسكو وواشنطن . وأنه لو توافر ـ فى أى وقت ـ للحكومة الامريكية ـ تفوق ذرى لما ترددت فى القيام بحرب عالمية ثالثة ، الا أن العائق

الذى يمنع هذا التفوق لأى من الطرفين هو تأكد كل منهما أنه في حالة نشوب حرب ذرية فسوف تنتهى الحيــاة من على أرضه • فان ما يملكه كل طرف يكفى لاخفاء أرض الآخر من الحيــاة تماما . وقد زاد التوازن تأكدا بعد الاعتماد على سلاح الصواريخ بعيدة المدى مما أدى الى تغيير كامل فى استراتيجية الحرب . ومع هذا التوازن أصبح قيام الحرب العالمية الثالثة أمرا يكاد يكون مستحيلا الا اذا كانت الولايات المتحدة تريد الانتحار • ومع وجــود الصــواريخ بعيدة المدى ــ باعتبــارها جوهر الهجــوم والدفاع ــ لم يعد للطائرات دور يمكن أن تقوم به فى حالة الحرب العالمية ، وبالتالى ما عادت للقواعد أية أهميــة فى هــذه الحرب ، لأن الحرب العالمية ــ باعتراف كل رجال وزارة الدفاع الامريكية ــ ليست أكثر من حرب ١٥ دقيقة يكون العالم كله قد أصابه خلالها الفناء •

وكل ما انتهت اليه هذه الحقائق هو أن الولايات المتحــدة قررت تصفية ٢١ قاعدة من قواعدها بالعالم فقط لاغير • وفى نفس الوقت نجــدها قررت اعتماد مليــار دولار لتوســيع ٢٨٠ قاعدة أخرى .. !

أكثر من هذا أدخلت فى استراتيجيتها حركة الأســطولين السادس فى الشرق الأوســط والسابع فى الشرق الأقصى ، حيث يكون كل منهما قاعدة متحركة لمواجهة أى حدث .

ويكفى لنعلم أن مهمة هذين الأسطولين استعمارية بحتة ما سمعته من قائد البحرية الامريكية فى مقر قيادته من أن من حق أى من الأسطولين التدخل فى أى موقف يراه حتى ولو لم تطلب منه أى دولة ذلك !

اذن .. اذا لم تكن هذه القواعد والأحلاف والأســاطيل

مخصصة لصدام محتمل مع الاتحاد السوفيتي بعد أن تأكد عـــدم جدواها في مثل هذا الصدام ، فان لوجودها أهدافا أخرى •

فهي بقدر ما عبرت على قنطرة نســجتها المســاعدات فهى بدورها كانت قنطرة لقناع آخر للاســتعمار الامريكى وهــو الاستثمار الخارجي . وكما هو معروف اقتصــاديا بأن رأس المال الأجنبى جبان بطبيعته ، لذلك فهو يريد دائما الحماية ، ومن ثم استعانت الولايات المتحدة بالأحلاف والقواعد لتفتح الأبواب أمام استثمارات احتكاراتها •

وتعتبر هذه القواعد مراكز جاسوسية . فكل استخدامها محصور فى تموين واستقبال طائرات التجسس الامريكية «يو٢» المعروفة ، والتى تتجول فى العالم بصــفة مســتمرة ، تصـور وتسجل كل التحركات . هذا الى جانب أن بعض هذه القواعد ليس أكثر من مراكز رادار تســجل كل شيء من رسائل متبـادلة بين الدول ، أو التدخل والتأثير (التشويش) على أى موجة من موجات الارسال اللاسلكى •

والأهم من ذلك كله انها مراكز وثوب على أى حركة وطنية، أو نقط انطلاق للتآمر ضد أى دولة ترى الولايات المتحدة ــ فى سياستها ــ خطرا عليها . ونوعية هذا الخطر ومضمونه مسألة تقديرية للأجهزة الامريكية وحدها • ولســنا فى حاجة الى أمثـلة أكثر من مثال قاعدتها « هويلاس » بليبيا •

والأمر الذى لا يجب أن يغرب عن الفكر هو أن أيا من القواعد الامريكية المبعثرة فى انحاء العالم لا تخضع لأى قانون الا القانون الامريكى . فهى جزء من الأرض الامريكية اقتطعت من أراضى الدول المقامة عليها ، تباشر فيها السلطات العسكرية الامريكية كل حقوق السيادة ، حتى أنها تصبح دولة داخل الدولة . وبحكم مالديها من سلاح وامكانيات تصــبح دولة أقوى من الدولة التى هى بداخلها وقد لا يتصور البعض ان الجندى الامريكى فى

أى من هذه القواعد اذا ما اقترف عملا من أعمال الاجرام خارج أسوار القاعدة لا يمكن محاكمته ، وكل ما تستطيعه سلطات الدولة التى ترتكب الجريمة على أرضها هو تسليمه الى السلطات الامريكية للتصرف بمعرفتها ٠

هذا من ناحية السيادة والقانون ٠ أما عن الجوانب الاجتماعية فان المدينة التى تفتح أبوابها لاقامة قاعدة أمريكية تتحول ــ بعد وقت قصير ــ الى مجرد ملهى كبير للترفيه عن الجنود الأمريكيين ٠

وقد رأيت وعشت فى مدن بها قواعد أمريكية وسوف أعطى أمثلة منها : مدينة فرانكفورت الألمانية وكنت ضيفا فيها على القاعدة الامريكية نفسها ! وقد كان كل ما يشغل وقت الجنود والضباط هو تحديد مواعيد ــ بعد انتهاء نوباتهم ــ مع فتيات المدينة ٠ وفى شوارع المدينة نفسها أصبح بين كل ملهى وآخر ملهى ثالث . وتقف بنات الليل فى طابور عند النواصى فى انتظار استدعاء عاجل ٠ وقد تجولت فى انحاء المدينة مع ضابط أمريكى كان يردد طوال الوقت أن الفرق الوحيد بين بنت فرانكفورت المحترفة وغير المحترفة أن الأولى تدفع لها غير ماتتكلفه من نفقات، أما الأخرى فهى تكتفى بالانفاق عليها . والمهم أن المدينة قد أصبحت احدى المدن التى يخجل منها الألمانى نفسه لأنها لم تعد خاضعة تماما لسيادته . هذا مع افتراض أن دولته نفسها لم تعد خاضعة كلها لارادة أمريكا . وربما كان هذا واحدا من الاسباب التى تخفف من شعورهم نحو القاعدة الامريكية فى فرانكفورت .

والغريب أننى رأيت نفس الصورة تتكرر بكل تفاصيلها فى مدينة بانجلوك عاصمة تايلاند التى يقال عنها باريس آسيا ، وهى مقر قيادة حلف جنوب شرقى آسيا ٠ وربما كان ما سمعته من

سائق تاكسى يعبر وحده عن الحالة الاجتماعية التى وصلت اليها المدينة التى كانت تعتبر واحدة من أكثر مدن آسيا عراقة وتاريخا مشرقا . فقد قال لى ان المسألة هنا ليست أكثر من ثمن . كل شيء يمكن أن أحضره لك .. أى فتاة .. أى سلعة .. حتى لو لم تكن للبيع .. أى شيء .. والمسألة لن تصبح أكثر من مقدار هذا الثمن !

فليست القواعد الامريكية فقط تعبيرا عن الاستعمار وفرضا لارادته على سيادة الدول بل هى وسيلة من أسرع وسائل التسلل الى المجتمعات لتفتيتها ، وتخريب أية روابط اجتماعية فيها ، حتى تصبح فى النهاية مجرد أفراد مبعثرين ليس لهم حساب أو وزن ، اذ أن الذى يحكمهم هو المال والجنس . ويعرف علماء الاجتماع جيدا سهولة انقياد أى مجتمع اذا ما تحللت أخلاقياته وروابطه الأسرية بحيث يصبح سلسا فى يد السلطة مهما كان شكلها وجنسيتها .

وبالتالى يصبح أثر القواعد الامريكية على مستقبل هذه المجتمعات اشد خطورة عن أى استعمار آخر . فهو يغرق الدول فى سيل من السلع الكمالية وغيرها من نفقات الجنود حتى يصاب اقتصاد الدولة بالتضخم ، وتفقد عملتها قيمتها ما لم يساندها الدولار ، فاذا ما رفع الدولار حمايته عنها انهار اقتصادها .

ويجرى ذلك كله بسهولة بمجرد اقامة واحدة من هذه القواعد على اراضى أية دولة وبدون مقاومة حتى المقاومة الذاتية .. !

والذين يقومون بهذه المهمة للولايات المتحدة يمكن أن نرسم وجودهم بالأرقام : ففى محيط دائرة حلف الأطلنطى نجد للولايات المتحدة حوالى ٣٤٠ الف جندى ، وتعد المانيا الغربية التى تضم منهم ٢٥٠ ألف جندى أكبر نقطة تجمع لهم . وفى بريطانيا يوجد ٢٠ الفا وفى فرنسا كان يوجد ٣٠ الفا تم ترحيلهم فى بداية

عام ١٩٦٧ الى بقيـة دول أوربا ، وفي ايطاليـا ١٠ آلاف جنـدى معظمهم من البحرية .

وقد أقامت الولايات المتحدة لدول أوربا حلفـا خاصـا بها هو حلف الأطلنطى ، مثلما سبق أن وضعت لها مشروع مارشال للمساعدات .

ويرجع أصل حلف الاطلنطى الى مشروع أوربى لتوحيد وجود الدول الأوربية فى مواجهة التطور السياسى العالمى . وفعلا وقعت بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج اتفاقية بروكسل فى ١٧ مارس سـنة ١٩٤٨ والتى كانت تعتبر حجر الأساس لبناء الوحدة الاوربية . وقد احست الولايات المتحدة بخطر مثل هذا الكيان على مخططاتها ، فسـارعت بالسطو على الحجر الأساسى لاقامة مبنى آخر عليه ، حتى أنها لم تستطع الانتظار طويلا ، ففى ٦ يوليو أى بعد حوالى ٣ أشهر فقط تحولت عملية السطو الى العلانية حيث جرت الاتصالات الرسمية لاقامة حلف لدول الأطلنطى . وفى موعد الذكرى الأولى لمعاهدة بروكسل كان الحلف الجـديد قد حل مكانها ، وانضمت له ١٢ دولة هى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبرج وكندا والنرويج والدانمرك وأيسلندا وايطاليا والبرتغال . وهى الدول الأصلية ثم دخلت تركيا واليونان وألمانيا الغربية .

ولعل ما يستحق الوقوف عنده بداية نص المادة الثانية من المعاهدة ، فهى قد حددت هدف التعـاون بين دول الحلف فى نقطتين :

١ ـ مواجهة تيار الشيوعية ، مع أن الخطر على أوربا ليس من الشيوعية ، ولكنه من العسكرية الألمانية التى شنت حربين عالميتين كانت الثانية منهما على دعامة من رأسمال الطبقة

الاحتكارية فى أمريكا . وكانت معاهدة بروكسل التى قام الحلف على أنقاضها موجها أساسا لخطر هجوم ألمانى على أوربا وما قالته الدول اعتراضا على ضم ألمانيا الغربية للحلف هو ما تحقق فعلا قبل مضى ٢٠ سنة أخرى على اقامة الحلف . والمعروف أن بعث العسكرية الألمانية بعد الحرب العالمية الأولى كان قد استغرق عشرين عاما من الراسمالية الأمريكية ، وقد اعترضت بعض الدول وفى مقدمتها فرنسا مؤكدة أن سياسة العسكرية الألمانية بطبيعتها توسعية ، وأنها ــ فى ظل الحلف ــ سوف تملك حرية البعث من جديد ، بل وزيادة قوتها ، وهو ما حدث فعلا .

٢ ــ العمل على استقرار الأحوال الداخلية فى دول الحلف. وهذا يعنى بالتالى ــ حسب المفاهيم الامريكية ــ القضاء على أى صوت معارض للاستعمار الإمريكى وكبت أى حركة وطنية تريد اقامة نظام حكم جماهيرى فعلا وليس لصالح الرأسمالية الامريكية . وخير مثال على ذلك هو ما حدث فى اليونان ، حيث نجد جيشا لا يستطيع أن يتحرك دون موافقة قيادة الحلف .

فمنذ بدأت الازمة فى ١٥ يوليو سنة ١٩٦٥ باستقالة باباندريو من رياسة الوزارة ، والموقف غارق فى دائرة مغلقة :

فالملك الشاب مصر على التحدى فى فرض ارادته على العمل السياسى ، مهما كان الثمن الذى لا يدفعه سوى الشعب .

والقوى السياسية تقف عاجزة عن عمل جماهيرى ، وكأن كل مهمتها هى تنظيم مظاهرات يضرب فيها الشعب .

فطوال ٢١ شهرا ، هى عمر الازمة الوزارية ، والوزارت تتساقط حتى بلغ تعدادها ست وزارات ، وحزب الاغلبية لا يفعل شيئا سوى العمل على اسقاط الوزارات .

قد يقال ان حزب باباندريو كان يريد أن يضع نفسه والملك في كفتي ميزان يمسك به الناخب اليوناني ليصدر حكمه بتأييد واحد منهما ، وهو أمر يستحيل تصوره لسبب بسيط ، وهو أنه ليس للملك حزب يتحدث باسمه ، وبالتالي يخوض الانتخابات به. ويترتب على ذلك :

● ان الانتخابات ان كانت قد جرت ما كانت لتحسم الخلافات على الاطلاق لأن الملك ليس طرفا فيها . ثم ان الانتخابات في ظل ظروف غير متغيرة تصبح نتائجها معروفة مقدما .

● أن ادراك الملك لهذه الحقيقة يجعل قبوله اجراء الانتخابات بمثابة قبول لاهدار هيبته لصالح باباندريو . وبالتالي كان من غير الطبيعي أن يقبل الملك تحديد موعد لها ، وبالتالي كان لا بد من حدوث شيء قبل الموعد المقرر الذي ربما كان تحديده بمثابة تحذير للقوى السياسية .

وكان المنفذ الوحيد في الدائرة المغلقة التي سقطت داخلها اليونان هو تدخل الجيش .

والعملية هناك كانت بسيطة ، وحسابها سهلا . فحيث أنه لا يوجد تنظيم يساري حقيقي على المستوى الشعبي أو العسكري ولا يوجد تنظيم شيوعي على نفس المستوى أيضا ، فلا بد أن تكون القوة هي التي تتحرك من داخل اليمين ، وهو ما أدركته المخابرات الامريكية جيدا . وكان لا بد من الحركة بسرعة قبل أن يفلت الزمام ويسقط الملك . ولم تكن هناك سوى قوة الجيش الذي يتحرك بأمر الولايات المتحدة عن طريق قائد حلف الاطلنطي . وفي نفس الوقت يتحرك باسم الملك ما دام الملك مبقيا على المصالح الامريكية ، وكل ذلك طبقا للمادة الثانية من الحلف . ولعل ميزة تدخل الجيش لتولي السلطة قد ترتب عليها : .

١ ـ انه يمتص أكبر قدر من طاقة الغضب فى نفوس الجماهير، ولو لفترة محدودة تهدأ فيها النفوس ٠

٢ ـ انه في ظله يمكن التخلص من كل القوى التي تثير المتاعب للجانب الذى تحرك الجيش لحسابه ، سواء بالقتل خطأ ـ ظاهرية طبعا ـ أم بالتشريد والتخويف ٠

٣ ـ انه يصبح حتميا تأجيل الانتخابات الى أجل غير مسمى وتعطيل الدستور ، وفتح السجون لأى شخص غير مرغوب فيه لأى سبب من الأسباب ٠

ولكن عيب هـذا كله أنه يضع القـوة التى يتحرك باسمها الجيش ، وخصوصا وأنه تحت راية اليمين ، فى موقف عـداء مع الجماهير ٠ وهو ما أدركه الذين أشاروا على الملك بهذا الاسلوب ٠ ولذلك فبعـد أن قام الانقــلاب باسم الملك ، وشكلت وزارة من العسكريين والقضاة مناصفة ، وحلفت اليمين أمام الملك ـ!ـ اذيعت أخبار أكثر ما يستحق تسجيله عنها أنها من مصادر أمريكية ، وهذه الاخبار تقول ان الملك الشاب محددة اقامته فى قصره ٠

ولو كان الموقف مفروضا عليه ما كان ليقبل أن تحلف الوزارة يمينا أمامه ، ولاكان الجيش فى حاجة لاستخدام اسمه على الاطلاق، لأن اســـتخدام اسم الملك لن يمنحه بركات الشعب ولا أى قوى سياسية أو غير سياسية ٠ والانقلابات عادة ليست فى حاجة الى مراسيم ملكية ، ولكنها فى حاجة الى دبابات تحجر على الشـعب اليونانى وزعامته بكل ألوانها ٠

فالمسألة على الأرجـح ليسـت ألا وسيلة لاستدرار قدر من عطف الجماهير على الملك ، حتى اذا ما انتهى الانقلاب من مهمته ، بقى الملك قادرا على الحركة والعمل ٠

والأمر المؤكد أن الحكم العسكرى لا يمكن أن يستمر طويلا ٠ أولا ٠٠ لان اليونان بعضويتها في حلف الاطلنطي مازال ينظر اليها على أنها واحدة من الدول الغربية ٠ والمعروف أن الغرب كله لايهمه جوهر الحكم بقدر ما يهمه أن تكون صورته ديمقراطية ، ودليل ذلك حركة الصراخ التي شملت كل أوربا بعد الانقلاب ٠ والأخطر من ذلك أن تحرك جيش للاستيلاء على الحكم فى أوربا مسألة خطيرة ، قد تجذب جيوشا فى دول أوربية أخرى ليس من صـــالح الغزب أن يحدث فيها ذلك !٠

وحتى هذا العامل يرجح فكرة أن الموقف ليس مفروضا على الملك ، بل ويؤكد أنه مسرحية مرســـومة تنتهى بتحقيق الانقلاب لأهدافه بالغاء الانتخابات وتشتيت « المشاغبين » ـ ! ـ وتخويف كل الزعامات ، ثم يعود الضباط الثلاثة الى ثكناتهم ، أو الى مناصب دبلوماسية مع مكافأة سخية ٠

وبافتراض صحة ما قيل من أن الانقــلاب مفروض على الملك فالأمر لا يتغير حيث أن كلا الطرفين من اليمين ٠

وليس مهما على الاطلاق أن كان الانقلاب مفروضا على الملك أو بتدبير منه ، ولكن المهم أثر تحريك الجيش اليونانى ـ لأول مرة فى تاريخه للاستيلاء على السلطة ـ على العسكرية اليونانية نفسها٠

فهي لعبة خطرة ، قد تجذب سهولة اتمامها عناصر أخرى ، ان لم يكن اليوم ففى الغد ، على تكرار اللعبة ، وخصوصا وأن اشراك العســـكرية ـ بدون عقيدة جماهيرية ـ فى السياسة أمر يصعب اخراجها منه بعد ذلك فى ظل قوى تتصارع على مصالحها وحدها ، وبالتالى يصبح ميزان القوى فى يد العسكرية وحدها ٠ وهو ما تريده الولايات المتـــحدة ٠ اذ تفضل أن تكون اليونان مثل دول أمريكا اللاتينية من أن تكون فى يد عناصر وطنية ٠

ولقد كان حلف الاطلنطى نفسه هو الذى استخدمت أسلحته البرتغال لضرب الحركة الوطنية في أنجولا ٠

ويبدو أن الحلف قد أدى مهمته ، وهى أساسا فتح الابواب لتأمين الاستثمارات الامريكية حتى تثبت أقدامها، بدليل أن الولايات المتحدة كانت هى الدولة المسـئولة عن تفتيت الحلف ، وهو فى الواقـع ليس تفتيتا ، ولكنه اخراج للدول التى تعارض المخطط الامريكى ، وهو المخطط الذى أدخل كندا فى الحلف مع انها غير أوربية ٠ وفى الوقت الذى قبلت فيه كندا رفضت أسبانيا الدولة الاوربية ٠ ومشكلة الحلف اليوم ليست الا تعبيرا عن تناقض مصالح الاستعمار الامريكى مع المصالح الاوربية ٠

فالمعروف أن دول الغرب انقسمت على نفسها منذ سنة ١٩٦٢ بسبب السياسة الامريكية التي وضعها كيندى ، ودعمها جونسون بضرورة انشاء قوة ذرية متعددة الاطراف فى ظل حلف الاطلنطى ٠ وهى ما زالت حتى الآن أخطر مصادر الانقسام فى التحالف الغربى ٠ فقد عارضت دول تسليح ألمانيا ذريا وأصرت دول أخرى على انشاء قوة ذرية مستقلة ٠ وكانت النتيجة أن أصبح حلف الاطلنطى شبحا لما كان موجودا ٠

ولعل البعض لا يتصـور أن الولايات المتـحدة وحدها هى المستفيدة من هذه الازمة ٠ فتمزق حلف الاطلنطى بل ونهايته غير مثيرة على الاطلاق ، فهو حلف عديم القيمة منذ ١٠ سنوات بالضبط أى منذ استعمال الصواريخ عابرة القارات فى الحرب ٠ وبالتالى **فقواعد الهجوم المنتشرة فى العالم قد أصبحت بلا فاعلية الا التأثير** على السياسات والمواقف الداخلية فى المنطقة ٠

يبقى ان نعرف سبب الازمة ٠ ففى سنة ١٩٦١ أعلنت أكبر

شركات استغلال اليورانيوم فى العالم ـ وهى أمريكية طبعا ـ انها مع نهاية سنة ١٩٦٢ سوف تواجه أزمة ـ فهى تستغل اليورانيوم الامريكي والكندى ومناجم روديسيا ، والسبب ن قدرة أمريكا على امتصاص الانتاج فى تناقص • وقد حاولت الشركة طوال خمس سنوات تحميل العبء لأمريكا بأن يشترى البنتاجون يورانيوم أكثر من احتياجاته ، وهو ماحدث فعلا •ولكن ظهرت استحالة الاستمرار على هذا الاسلوب • ومع بيان الشركة الامريكية خرجت فكرة ضرورة فتح أسواق أخرى لليورانيوم تتحملها حليفات أمريكا • وتطورت الفكرة على يد مستشارى كيندى الى مشروع القوة الذرية المتعددة الأطراف !

ولذلك كان رأى رجال الاعمال الامريكيين هو ضرورة تحميل حليفات أمريكا قدرا من العبء الحربى • وميزة ذلك أنه سوف يعتبر طلبا جديدا على الانتاج من المواد الحربية الامريكية تستبعد منه الشركات الامريكية فى حصيلة صافى ربحها •

وامتدادا لمهمة حلف الاطلنطى نجد أن الولايات المتحدة ظلت تضغط على يوجوسلافيا ـ بعد خروجها من الكومنفورم ـ مستهدفة دخولها فى حلف عسكرى حتى تحصل على المساعدات الامريكية ، وتحت ظروف خاصة قبلت يوجوسلافيا فى فبراير سنة ١٩٥٣ الدخول فى حلف البلقان المؤلف من ثلاث دول هى : اليونان وتركيا عضوا حلف الاطلنطى ويوجوسلافيا • ومدة الحلف خمسة أعوام فقط وقد رفضت يوجوسلافيا تجديدها ، وقبلت الولايات المتحدة بعد أن تأكدت أن مهمة الحلف لم تنجح بالنسبة ليوجوسلافيا التى أصرت على أن ينص فى معاهدة الحلف ـ وهو النص الفريد فى كل الأحلاف ـ على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لدول الحلف • وكان نص المادة الخامسة هذه من أهم العوامل التى دفعت أمريكا

الى قبول تصفية الحلف والعودة الى سياسة الحرب السياسية مع يوجوسلافيا •

وحتى تحكم الولايات المتحدة طابور زحفها على العالم أوجدت دولا هي بمثابة «صماويل» الربط بين الاحلاف • ففي سنة ١٩٥٥ كانت تركيا هي حلقة الوصل مع حلف كان مقررا أن يفرض على دول الشرق العربي كله ، ولكن المقاومة المصرية له أدت به الى أن ينحصر في نطاق دول مرتبطة بأحلاف أخرى ويموت قبل ولادته ، وأعني به حلف بغداد الذي أصبح اسمه بعد خروج العراق منه الحلف المركزي ويضم تركيا وباكستان وايران وبريطانيا • وهو بذلك يعد ثاني حلف فاشل بعد حلف البلقان الذي حطمته يوجوسلافيا مثلما حطمت مصر حلف بغداد •

وأصبح الحلف المركزي الذي جاء مكان حلف بغداد بمثابة الرابطة بحلف جنوبي شرقي آسيا الذي كان قد تكون قبل ذلك بعام وبالتحديد في سبتمبر سنة ١٩٥٤ • وليكشف الحلف عن وجهه الاستعماري نصت مادته الرابعة في فقرتها الثانية على تشاور دول الحلف لمنع أي محاولة لتغيير ما هو قائم أو أي انقلاب ضد نظام الحكم • أكثر من هذا ، ان هذه الفقرة لا تقتصر على دول الحلف ولكنها تعطي للولايات المتحدة حق التدخل في المنطقة كلها اذا رأت أن هناك تهديدا من أي مكان فيها •

والغريب أن عدد الدول ـ غير الآسيوية ـ في الحلف الآسيوي أكبر من عدد الدول الآسيوية التي رفضت كلها الانضمام اليه ، فاقتصرت عضويته على باكستان عضو الحلف المركزي مع الفلبين التي كانت مستعمرة أمريكية لنصف قرن ، وتايلاند التي تعتبر اليوم قاعدة الحركة الامريكية في آسيا بالاضافة الى فرنسا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا ، مع ملاحظة أن هناك حلفا

خاصا يضم استراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة مثلما فعلت مع أسبانيا حين رفضتها دول حلف الاطلنطي • وهناك أيضا اتفاق خاص مع اليابان التي تضم اليوم ٢٣٠ قاعدة أمريكية فيها حوالى ٣٩ ألف جندى أمريكى •

ولا يختلف حلف ريو الذى يضم دول أمريكا اللاتينية عن هذه الاحلاف في أنه أداة للتدخل فى المسائل الداخلية للدول • وتوجد قوات أمريكية مبعثرة على دول القارة لسرعة اخماد أى حركة وطنية أو معارضة • ففي بنما ١٠ آلاف ومثلهم فى بورتوريكو ، وهناك ٦ آلاف في الدومينكان •

ودور هذا الحلف فى التدخل فى شئون أمريكا اللاتينية من الأدوار المكشوفة التى يعرفها العالم كله • وقيادة الحلف فى بنما هي التى تلعب دورا هاما فى كبت الثورات الوطنية في المنطقة ، وفى مقدمتها – طبعا – ثورة بنما •

وربما كان أحدث مابتكره الحلف فى المنطقة هو فتح أكاديمية عسكرية خاصة فى بنما لتدريب البعثات العسكرية من دول الحلف على مقاومة حرب العصابات ، وذلك على ضوء نجاح ثورة كوبا سنة ١٩٥٨ – عن طريق حرب العصابات – في الوصول للحكم وحماية نفسها ضد كل محاولات التدخل • وقد شجع ذلك قادة وطنيين فى كثير من دول المنطقة على السير فى نفس الطريق ، وفعلا اندلعت الثورات الوطنية فى الجبال فى بوليفيا وفنزويلا والارجنتين والبرازيل •

وقد بعثت الاكاديمية العسكرية المخصصة لمقاومة حرب العصابات بخبرائها فور اعلان أنباء الثورة الوطنية الى فنزويلا لدراسة الموقف ، وتقديم المساعدات لسحق الثورة وهى فى المهد •

ولست أريد الخوض كثيرا فى صفحات تاريخ السياسة الامريكية فى هذه المنطقة لأنها وحدها تحتاج الى كتاب منفصل ، ثم ان كثيرا من تفاصيلها مازال الشعب العربى يذكرها جيدا ابتداء من سحق ثورة جواتيمالا عام ١٩٥٤ الى الانقلابين العسكريين فى البرازيل عام ١٩٦١ ثم عام ١٩٦٤ • وكل منهما جاء فى أعقاب اعلان رئيس الجمهورية رغبة البرازيل فى الاشتراك فى مؤتمر عدم الانحياز ببلجراد والقاهرة •

وهكذا نصل الى أن الاحلاف العسكرية الامريكية وقواعدها لم تكن الا أداة قهر للحركات الوطنية ، وتجميد للاوضاع لصالح الطبقات الحاكمة التى رضيت أن تكون ألعوبة فى يد الحكومة الامريكية • فكل الاحلاف ـ باستثناء حلف البلقان الذى فشل ـ تنص معاهداتها على منع تغيير الاوضاع وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء والدول المحيطة بها •

ونلاحظ أن مخطط الأحلاف والقواعد ليس كما يقال سلسلة دفاع حول الدول الشيوعية ولكنه مراكز دفاع عن مناطق التوسع الرأسمالى الأمريكى ، وقد سبقه سيل من المساعدات المشروطة ، ثم قواعد وأحلاف انتهت بفتح أبواب معظم مناطق العالم أمام الاستثمارات الأمريكية •

الفصل الخامس

الاستثمارات الأمريكية

تصـــدير رأس المـــال هو فى الأصل قلب الاستعمار وهدفه • وكان الاستعمار الأوربى يبعث بقواته لتفتح له المستعمرات ، وبعدها يبدأ زحف رأس المال الى هذه المستعمرات فى حماية قواته • أما الولايات المتحدة فقد قامت بتصدير رأس المال بعد أن تسبقه الى مواقعه مساعدات معظمها مشروطة • ثم أحلاف وقواعد عسكرية • والذى يؤكد ذلك مجرد رحلة مع عملية الزحف الاستثمارى للرأسمالية الامريكية •

فحتى الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا هى أكبر مصـــدر للرأسمال الاستثمارى فى الخارج • وكان نصيبها يصل الى ٤٠٪ من جملة الاستثمارات الاجنبية فى العالم • وخلال الحرب اضطرت بريطانيا الى بيع جزء كبير من استثماراتها الخارجية الى الولايات المتحدة اما ثمنا للسلاح الذى تحتاجه أو سدادا لديونها لوشنطن • ومثلها فعلت فرنسا وهولندا وغيرهما • وما أن انتهت الحرب حتى كانت الولايات المتحدة قد احتلت المركـــز الأول فى قـــائمة الدول المصدرة لرأس المال • وبلغ نصيبها ٣٨,٥٪ وهو حوالى ١٦,٨ مليار دولار بينما أصبح لبريطانيا ٣٢٪ • وحتى تنفرد الولايات المتحدة

بهذا المجال فرضت على دول أوربا الغربية ـ في ظل مشروع مارشال ـ تخفيض قيمة عملاتها بالنسبة للدولار ٠

وقد بدأ الزحف الهاتل للراسمالية الأمريكية على كندا بعد انضمامها الى حلف الأطلنطي ٠ فبعد أن كانت استثمارات الولايات المتحدة فيها ٣ر٨ مليار دولار سنة ١٩٣٩ أصبحت ٢٦ر٥ مليار دولار سنة ١٩٦٦ أى ثلث كل الاستثمارات الامريكية في العالم ٠ وكان من الممكن أن ينظر الى الأمر على أنه مجرد استثمار وليس استعمارا لو لم يكن الهدف هو فرض السيطرة الامريكية ٠ ويكفى أن نعلم أنه خلال هذه الأعوام العشرين التي مضت بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الولايات المتحدة تسيطر على ٧٠٪ من صناعات البترول فى كندا ، بالاضافة الى ٦٠٪ من صناعة التعدين ٠ هذا الى جانب ٣٥٪ من صناعات الاخشاب ٠ وأكبر صناعة سيطرت عليها الولايات المتحدة كانت صناعة السيارات حيث بلغ نصيبها ٩٥ ٪ ٠

ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة تملك فعلا اقتصاد كندا ، وبالتالى تصبح ارادة كندا مشلولة تماما ، وصوتها فى المجتمع الدولى مجرد صدى للصوت الامريكى ٠

وخلال نفس الفترة ومع نفس البداية أى فى حماية المساعدات والقواعد وحلف الأطلنطى دخل أوربا خلال هذه السنوات ١٠ آلاف مليون دولار امتصت فى شراء شركات ومصانع وأسهم ٠ فبعد أن كان لأمريكا فى أوربا ١ر٧ مليار دولار سنة ١٩٤٥ أصبح لها ١١ر٥ مليار دولار ٠ والمقرر حسب الاحصاءات الامريكية أن يصبح ٢٤ مليارا سنة ١٩٧٥ ٠ وأصبح هناك ٨٠٠ فرع لأكبر الشركات الأمريكية ٠

وتفصيل الأرقام يعطى صورة أدق للاستعمار الامريكى حتى لأوربا التى كانت فى مقدمة مصدرى رءوس الأموال الاستعمارية ٠

ففي فرنسا مثلا ـ ورغم كل الخلافات ـ مازال زحف رأس المال الامريكي مستمرا . والولايات المتحدة تسيطر على ٩٦٪ من الصناعة الاليكترونية ، وتسيطر على ٩٠٪ من صناعة انتاج المطاط الصناعي . هذا ولها أيضا ٦٥٪ من عمليات توزيع البترول، ونفس النسبة لها في صناعة الآلات الزراعية . ومن هنا نفهم احتدام الصراع بين النزعة الاستقلالية في فرنسا وبين الراغبين في فرض سيطرتهم عليها .

أما بريطانيا فحالها أكثر بؤسا . ويكفي اختصارا أن نعلم أن ٤٠٪ من كل استثمارات أمريكا في أوربا موجودة في بريطانيا وحدها . وهي بذلك تحتل المركز الاول بين الدول الأوربية التي بها استثمارات أمريكية . والغريب أن العجز في الميزان التجاري لبريطانيا مع بداية مشروع مارشال كان ٤٢٥ مليون جنيه فاذا به يقفز مع نهاية المشروع الى ١٢٠٩ ملايين جنيه بدلا من أن ينخفض.

وتعتبر ألمانيا الغربية في المركز الاول بين دول السوق الأوربية التي تجذب الاستثمارات الامريكية حتى أنها بلغت ٢ر٣ مليار دولار . والخطير في الأمر أن شركتين فقط هما فورد وجنرس ستاندرد لهما استثمارات في ألمانيا الغربية تبلغ مليار دولار .

وامتدادا لهذه الحقيقة يجدر بنا الاشارة الى أن ثلثي الاستثمارات الامريكية في أوربا تخص ما بين ١٥ ـ ٢٠ شركة فقط . وهو دليل بارز على تركيز ملكية رأس المال ، ويشير الى مدى التحكم في أوربا .

ورغم كل الاستثمارات الامريكية والفوائد التي تعود بها من أوربا فانه مازال على أوربا أن تسدد ديونا عليها للولايات المتحدة تبلغ حوالى ٢٠ مليار دولار ، وأكبر قدر من الدين على بريطانيا حيث

يبلغ ٩ر٤ مليار دولار ، وعلى فرنسا ٦ر٥ مليار دولار ، وايطاليا ٢ر٣ مليار دولار •

وأمريكا اللاتينية لا تقل نصيبا من السيطرة الأمريكية ، فبعد توقيع حلف ريو زحف على القارة خلال ١٥ سنة ٢ مليار دولار • وكانت البرازيل فى مقـــدمة الدول التى فتحتهـــــا الاستثمارات الامريكية • وبرغم أن نصيب القارة من الاستثمارات هو المركز الثالث بعد كندا وأوربا فان الولايات المتحدة تسيطر تقريبا على كل الصناعات الجديدة وشركات تسويق المحاصـــيل الزراعية •

أما أفريقيــا فقد كانت حتى الحــرب العالمية الثانية أقــل القارات نصيبا من الاستثمارات الأمريكــة ، حيث لم تتجــاوز الاستثمارات الامريكية ٣٪ فقط من جملة الاستثمارات الاجنبية بالقارة ، وهى تبلغ ٢٠٠ مليون دولار معظمها فى ليبريا وتستغلها شركة فاير ســتون للمطاط وقد قفز الرقم اليوم الى ٣ مليارات دولار أصبحت بها الولايات المتحدة تسيطر على أكبر نصيب من صناعة التعدين فى روديسيا وجنوب أفريقيا •

وفى آسيا كان ٦٩٪ من الزحف الرأسمالى الأمريكى الى الدول المرتبطة بالمعاهدات العسكرية •

وأخطر ما فى ظاهرة الاستعمار الامريكى تحت اسم الاستثمار هو عملية استنزاف الثروة ، اذ أن ما يعود الى الولايات المتحدة من فوائد لهذه الاستثمارات يكاد يزيد عن الاستثمارات نفسها •

فمثلا خلال السنوات من ٥١ ـــ ١٩٥٤ دخل أمريكا اللاتينية ٦٦٢ مليون دولار ، وفى نفس الفترة نجد أن الاستثمارات الامريكية بالقارة قد أعادت الى الولايات المتحدة ٣ر٣ مليار دولار •

أكثر من هذا أن دول أمريـكا اللاتينية حصلت على ١ر٣ مليار دولار سنة ١٩٦٦ فى شكل قروض ومساعدات ، وفى نفس العام دفعت القارة ٥٧٠ مليون دولار كفوائد ديون للولايات المتحدة التى بلغت ديونها لدى القارة ١٠ مليارات دولار • ومعنى ذلك أن حوالى نصف القروض والمساعدات التى حصلت عليها القارة قد عادت من جديد الى أمريكا فى شكل فوائد •

وعند هذا الحد أصبح ضروريا تقديم كشف حساب لأرباح الاستثمارات الامريكية فى الخارج • فقد كانت سنة ١٩٤٦ ، ٨١٠ ملايين دولار قفزت فى العام التالى مباشرة الى ١٩٤٦ مليونا لتصبح سنة ١٩٥٠ ، ١٧٤٣ مليونا • وفى سنة ١٩٥٥ بلغت ٢٤٥٢ مليونا حتى وصلت الى ٣٣٠٣ ملايين سـنة ١٩٦١ أى أكثر من أربعـة أضعاف ما كانت عليه بعد الحرب العالمية الثانية •

وقد قدرت أرباح الاستثمارات الأمريكية فى أفريقيا وحدها بحوالى ١٢٣٤ مليون دولار •

ومن هنا تبدو حقيقة الاستعمار الامريكى الذى يأخذ شكلا أشد ضراوة من الاستعمار البريطانى أو الفرنسى ، والسبب أنه يخدع الشعوب ، أو يحاول ـ بمعنى أدق ـ خداعها بحركته من خلال راية الاستقلال السياسى الكاذب التى يحافظ على ارتفاعها فى هذه الدول خداعا للبصر • فهو يسيطر تماما على اقتصاديات الدول التى يدخلها ، ثم يستنزف ثرواتها فى شكل أرباح وفوائد • وقد فرضت الولايات المتحدة على عدد من الدول ـ تجاوزت حتى الآن ١٧ دولة ـ النص فى الاتفاقية الثنائية معها على حماية الاستثمارات الأمريكية من أى محاولة للتأميم وذلك منذ تأميم الجمهورية العربية لشركة قناة السويس ، وتأميم كوبا لشركة السكر • والدولة التى تتعرض فيها الاستثمارات الامريكية لأى خطر نتيجـة سياسـة

حكومات هذه الدول سرعان ما تسقط فريسة انقلاب أو ما يشبه الانقلاب ٠

والمعروف أن سقوط وزارة مسز باندرانيكا فى سيلان فى الانتخابات جاء مباشرة بعد تأميم شركات البترول الأمريكية ٠ وهو تقريبا نفس ما حدث فى أندونيسيا ٠ وبعد أن سقطت الحكومات أعيدت الشركات الأمريكية التى كانت قد صدرت قرارات تأميمها الى أصحابها من المستثمرين الأمريكيين ٠ وأعتقد أن هذا وحده يحمل الدليل على ما تفعله المخابرات الأمريكية من خلال القواعد والأحلاف لحماية الاستثمارات الامريكية فى أى مكان ٠

والواضح أن الولايات المتحدة تستخدم كل امكانيات العلم التى لديها لحساب مدى احتياج العالم ٠ ووضع ذلك فى اطار المصالح الامريكية ، بمعنى تحويل هذا الاحتياج الى أرقام الاستثمارات والتوسع المنتظر فيها ، وعلى هذا يجرى الاستعداد لمواجهة هذا التوسع ٠ والمهم فى الزحف الاستعمارى فى شكل الاستثمارات أنه امتد الى كل مكان من العالم ، وأن كثيرا من الدول لا تنظر اليه باعتباره مظهرا من مظاهر الاستعمار ، وبالتالى فانه لا يواجه الا بمقاومة محدودة للغاية انتهى أغلبها حتى الان بالسقوط ــ المفاجىء ــ للحكومات التى كانت تقاوم ٠

وكانت النتيجة أن بلغ الحجم الحقيقى لسوق الاستثمار الخارجى الامريكى فى رأى أكثر المصادر العلمية تحفظا حوالى ١٠٠ مليار دولار ٠ وأن جملة الاستثمارات الامريكية بالعالم حتى بداية سنة ١٩٦٧ كانت ٨٦ مليار دولار كان صافى ارباحها ٧ مليارات حول ٦ر٥ مليار دولار منها الى داخل الولايات المتحدة بالفعل ٠ وحجم انتاجية الاستثمارات الامريكية يعتبر اكبر من حجم انتاج أى دولة فى العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠

والجدول التالى يوضح قيمة الاستثمارات الامريكية وما تحققه من عائد حول بالفعل الى امريكا ٠

مليار دولار

السنة	القيمة الاجمالية	الدخل المحول
١٩١٩	٧	٥٤ر ـ
١٩٣٠	٢ر١٧	٥٨ر ـ
١٩٥٠	١٩	٤٨ر١
١٩٥٥	١٤ر٢٩	١٧ر٢
١٩٦٠	٣٩ر٥٠	ـ ر٣
١٩٦١	٥١ر٥٥	٥٦ر٣
١٩٦٢	٠٣ر٦٠	٩٥ر٣
١٩٦٣	٥١ر٦٦	١٦ر٤
١٩٦٤	٨٢ر٧٥	٩٣ر٤
١٩٦٥	٩٤ر٨٠	٣٩ر٥
١٩٦٦	٥ر٨٦	٥٩ر٥

والاضافة التى لابد من توضيحها بجانب هذا الجدول هى أن ٤٠ ٪ من الاستثمارات الامريكية موجودة فى عمليات صناعية وأن ٣٠ ٪ فى صناعة البترول والباقى فى التجارة والتعدين ٠

الفصل السادس

المؤسسات الثقافية الأمريكية

ان كثيرا من الانظار تدرك حقيقة خطر الجانب الاقتصادى للاستعمار الى حد أن هناك مدرسة تعتبره هو الاصل • ولكن هناك جانبا آخر للاستعمار وأعنى به الاستعمار الثقافى • فلو لم تتغلغل أفكار المستعمرين بين المتعلمين وأنصافهم فى المستعمرات لما وجد الاستعمار الاقتصادى له قاعدة بشرية تعمل له ومعه • والعملاء والحكومات الرجعية ليست كلها الا نتاجا للاستعمار الثقافى •

واذا كانت بريطانيا فى القرن الماضى رائدة فى مجال الاستعمار الثقافى فان الاستعمار الامريكى قد استفاد من كل تجاربها وطورها الى حد استعمارها هى نفسها ، ليس فقط اقتصاديا بل ثقافيا •

ونسيج هذا القناع الذى يخفى حقيقة الاستعمار الامريكى يتكون من : ـ

● دور نشر لا تخفى دورها بالدعاية للفكر الأمريكى ان جاز اعتبار ما تنشره فكرا • فهى فى الأساس أجهزة تعمل ـ رسميا ـ فى خدمة جهاز الاعلام الأمريكى •

● دور نشر تقوم بعمل غير مباشر لتحقيق مخطط الاستعمار الأمريكى • وهى أكثر خطرا باعتبار أنها علانية أمامالجماهير لاتحمل الشارة الامريكية •

● أجهزة الاذاعة « صوت أمريكا » التى تنتشر فى العالم كله وتحمل مسئولية بث الذعر أو الاشاعة أو بمعنى أدق وضـــع بذور الشك فى كل مكان •

● شركات الأفلام الأمريكية التى تكاد تبتلع أسواق العالم تقريبا بما تبعثره من أفلام الجنس والجاسوسية •

● المدارس والجامعات الامريكية المنتشرة فى دول العالم كله تعلم عددا متزايدا مع الأعوام ما يرســم أمامهم صــورة المجتمــع الأمريكي باعتباره المجتمع المثالى الذى يحلم كل منهم بالعيش فيــه أو على الأقل بنقل بعض مظاهره البراقة •

● الجامعات والمعاهد الأمريكية نفسها التى تستقبل وفــود المبعوثين من دول العالم تنشر بينهم فكرها • وتدعــو الى الايمان بمقومات البناء السياسى والاقتصادى للمجتمع الأمريكى •

وربما جاز لى الوقوف برهة أمام هذه الظاهرة التى تكشفت بوضوح فى مؤتمر المبعوثين الذى عقد بالاسكندرية فى العام الماضى • فنوعية أسئلة المبعوثين العــائدين من كل دولة تكشــف عن أثر الاستعمار الثقافى فعلا على بعض هؤلاء المبعوثين وتأثرهم بالمجتمع الذى يدرسون فيه •• !

فبعض الذين عادوا من الولايات المتحدة من بعثاتهم كانت أبرز اسئلتهم هل اصبحت الجمهورية العربية المتحدة ـ بعد تطبيـــق القوانين الاشتراكية ـ دولة شيوعية •• ؟ لأن هذا ما تقوله أجهزة الدعاية الامريكية لهم •

والواقع أن أخطر ما فى الاستعمار الثقافى أنه يتسلل الى عقول الأفراد وهى لم تكن معدة لمقاومته ، اذ هو يتسلل من خلال أدوات أغلبها ما يكون فى أوقات الفراغ والترفيه ٠

ولا بد من الاشارة الى أن شركات السينما الامريكية قد ابتلعت شركات السينما الأوربية سواء بشراء أغلب أسهمها أو بشراء النجوم الناجحة فيها ، حتى لم يعد فى أوربا استوديو ضخم دون أن يكون لرأس المال الامريكى نصيب فيه ولا بقى نجم واحد ناجح دون أن يكون مكان عمله فى هوليود ٠

وخلال السنوات الاولى من مشروع مارشال تضاعفت المجلات التى تدخل أوربا بنسبة ٥٠٠٪ عما كانت عليه ٠

واشترطت الولايات المتحدة ضمن اتفاقيات المساعدات اعفاء الكتب والمجلات الأمريكية من الرسوم الجمركية ٠

وعدد الأفلام الأمريكية التى تعرض فى دور العرض أو على شاشات التليفزيون أكثر من ثلاثة أضعاف الأفلام ، المنتجة محليا ٠

وهذه الحقائق كان من الممكن اعتبارها مجرد نشاط ثقافى واسع المدى ما لم تكن له استراتيجية خاصة ترمى الى تدمير مقومات هذه المجتمعات ، واعطائها جرعات تدريجية من فكر مضاد يسمح فى المرتبة الأولى بحماية النشاط الاستعمارى الأمريكى بكل أقنعته ٠

ونحن فى حاجة الى نظرة على هذه الاستراتيجية وخطوطها حتى يبدو الغزو الثقافى الأمريكى فى اطاره الواقعى ٠

فكما سبق أن أشرت الى أن هدف الغزو الثقافى الأمريكى هو توفير جو من الحماية للرأسمال الأمريكى فى تشعبه وانتشاره

في هذه الدول • ويجرى تحقيق ذلك عن طريق الأجهزة التى سبق الحديث عنها ومخططها فى أغلبه لا يخرج عن : ـ

١ ـ أجهزة الدعاية العلنية وتعمل عادة على التمجيد فى محاسن النظام الرأسمالى وعلى وجه خاص الأمريكى باعتباره من أفضل النظم لتحقيق الرفاهية وتوفير الحرية • صحيح أن هذه الاجهزة لا تهاجم النظم الاشتراكية مثلا ، وهى تفعل ذلك ليس لأخلاقيات عمل لها ولكن لأنها لو فعلت لكانت ضمن أجهزة الدعاية المضادة لهذه الدول وبالتالى تعرضت لطائلة القانون • فهى تعمل على أساس أنها اذا لم تستطع تشويه الفكر والتطبيق الاشتراكى فعلى الأقل فى قدرتها التمجيد فى النظام الرأسمالى ، وتكون بذلك قد أدت نفس الغرض بل وبطريقة أفضل والتى يقال عنها « دعاية غير مباشرة » •

٢ ـ أجهزة الدعاية غير العلنية مثل دور النشر التى لم يعرف عنها صلتها بأجهزة الحكومة الامريكية وتعمل على تحريف الوقائع ، بل حتى التاريخ تحرفه بالقدر الذى يتفق مع مصالحها مثلما حدث أخيرا فى الكتاب الذى نشرته مؤسسة « بريجر » الامريكية عن الدومنيكان وظهر أنه من اعداد وتمويل المخابرات الامريكية •

حتى السينما الأمريكية حين تقدم أفلام الحرب تغير من أحداث التاريخ وتتابعها حسب ما تراه أجهزة الأمن والدعاية الأمريكية •• وقد أصبح هذا التحريف من كثرته أمرا مألوفا لدى الجماهير • وهذه الألفة على المغالطة هى أكبر ما كسبته الأجهزة الامريكية •

فالأجهزة غير المعروف صلتها بالحكومة الأمريكية تعتمد على الكذب والتحريف • وهى لا تضع هذا الكذب أو تقوم بهذا

التحريف بطريقة مكشوفة ، بل انها تعمل فى اطـار عام من الأكاديمية والموضوعية .

وشعار مثل هذه الأجهزة أنه اذا لم يكن من الممكن خداع كل الجماهير فعلى الأقل يمكن خداع بعضها . ومع الوقت تتسع قاعدة المخدوعين حتى تمثل أرضا خصبة للعمل العلنى .

٣ ـ شغل الجماهير بالجنس .. من خـلال أفـلام الجنس يتحول الاجرام الى بطولة ، والقتل الى عمل يثير الاعجاب ويفتن النساء . ورغم ما فى ذلك من بث لموجات الانحلال وخصوصا بين الشباب والمراهقين الا أن الأخطر منها أن الجنس غـالبا ما يغطى قصص الجاسوسية ، حتى لقد أصبح عملاء الجاسوسية أبطالا لهم شعبيتهم فى كثير من دول العالم ، حتى أن كل شاب يحلم بأن يجد نفسه فى مكان البطـل لمـا يتوافر له من وسائل الرفاهية والخمر والنساء .

ومرة أخرى فان الجماهير اذا ما ألفت الجاسوسـيـة كأمر بطولى يصبح من السهل من خلال هذه الارضية الفكرية العثور على واحد أو أكثر فى كل موقع ليقوم بنفس الدور لحساب المخابرات الأمريكية . واذا لم يصل الأمر الى تقديم عملاء فيكفى أن أخطر الجرائم السياسية وهى الجاسوسية تصبح مع الوقت عملا بطوليا تقبله الجماهير ، أو على الأقل تنظر اليه باعجاب بدلا من أن يثير غضبها ويحركها للانتقام . وتصبح عملية التجسس فى حيـاة الأفراد اليومية شيئا روتينيا لا يثير حتى الاشمئزاز !

وليست مهمة هذه المؤسسات فقط هى نشر الفكر الأمريكى ولكنها تتجاوز ذلك إلى : ـ

٥ ـ جمع المعلومات من المواقع التى تعمل فيها وارسالهـا

الى الولايات المتحدة للاستفادة منها فى أى عملية مجابهة • ومثال ذلك ما قام به مركز فورد فى القاهرة من قياس اتجاهات الرأى العام المصرى وعلى وجه خاص الشباب من قضايا القومية وفلسطين والاشتراكية •

● جمع أكبر قدر من المستفيدين من هذه الاجهزة • فهى بحكم امكانياتها تذيع الكثير • والمعروف مثلا أن مؤسسة فرنكلن للنشر كانت تدفع فى مصر أضعاف ما فى قدرة أى ناشر آخر أن يدفعه مما جعل الكثيرين يتسابقون على التعامل معها أو على الاقل لايجاد صلة بها • وليست المسألة مقصورة على أجهزة النشر بل ان مراكز برامج المساعدات توزع الهدايا مثلما فعلت احدى هذه البرامج بتوزيع السيارات الفاخرة على مديرى التعليم دون أن تجد أحدا يتصدى بالسؤال عن ثمن ذلك !

● استغلال وجود هذه المراكز والمؤسسات لبعثرة الاشاعات والنكت السياسية ، وقد قيل ان نكتة واحدة قيلت بصياغات مختلفة فى كثير من الدول قد أدت الى وقوع عدد من الانقلابات فى أمريكا اللاتينية •

وقليل من يعرف أن فى ادارة المخابرات المركزية الأمريكية ادارة خاصة للنكتة السياسية • ومهمتها تلفيق النكتة ثم ارسالها من خلال العملاء وغيرهم الى المواقع البشرية •

وتكون محصلة ذلك خلق ما ألف الناس تسميتهم « بالمتأمركين » فكرا وسلوكا • وهم عنصر خطر على أى مجتمع وخصوصا اذا كان المجتمع يترك الطريق أمامهم مفتوحا للوصول الى مراكز قيادية •

وليست المسألة عملية ثقافية بدون أرباح مادية بل على

العكس فهناك عائد ضخم • ومثال ذلك أن المتوسط السنوى للافلام الامريكية التى تعرض فى الجمهورية العربية هو ٧٣ ٪ من مجمـوع افلامها المستوردة اى حوالى ٢٠٠ فيلم أمريكى •

وطبقا للشروط الامريكية يتم تحويل ٦٥ ٪ من ايراد الافلام الى الشركات الامريكية بالعملة الصعبة • وقد بلغت الايرادات المحولة لامريكا من افلامها ٦٧٥ الف جنيه • وليبدو الرقم فى مكانه الحقيقى لابد أن نعرف أن ما يصرف على الفيلم فى المتوسـط فى مصر كتكاليف عرض حوالى الف جنيه فى حين ان متوسط ايراده من ١٠ ـ ٣٠ الف جنيه يحول ٦٥ ٪ منها للخارج بينما الانتاج السينمائى المصرى يواجه ما يقرب من الافلاس •

الفصل السابع

إسـرائيـل

قد يبدو للبعض غريبا أن أضع اسرائيل تحت عنوان أقنعة الاستعمار الأمريكى • فالبعض يرى أن مكانها الطبيعى فى فصل القواعد الامريكية • الا اننى أعتقد أن اسرائيل أكبر من مجرد قاعدة • فهى كما أتصور دورها السياسى والعسكرى والاقتصادى قناع للاستعمار الامريكى • وصحيح أنها أقرب الى أن تكون قناعا للاستعمار الرأسمالى كله الا أن صلتها بالولايات المتحدة على وجه خاص أكبر من أى صلة لها بغيرها ، هذا الى جانب أننا اتفقنا من خلال الصفحات السابقة على أن الاستعمار الأمريكى قد أصبح الاستعمار « الأم » بعد أن احتل كل مواقع الاستعمار الأوربى ، وأصبحت تلك المواقع تعمل فى ظله وفى الأغلب بارادته •

وليس جديدا على الاطلاق على القارىء العربى أى تفاصيل عن حماية الاستعمار الأمريكى لاسرائيل ، فهى مسألة معروفة ومؤكدة مثل الماء والهواء • ولكن هناك جانبا آخر من الموضوع يمكن أن نرى فيه اسرائيل كقناع استعمارى يتلثم به الغزاة •

فالمعروف أن اسرائيل تواجه عجزا أصيلا فى ميزانيتها ، وهو العجز المستمر الدائم بحكم أن ايرادات الميزانية أقل من انفاقها وهى مسألة يتعذر حلها مادام من المستحيل زيادة الايردات أو تخفيض الانفاق . وأزمة اسرائيل الاقتصادية حقيقة معترف بها على كل المستويات . وقد سبق أن سمع العالم فى مارس الماضى (١٩٦٧) الأزمة بين حكومة اسرائيل وصحف المنظمة الصهيونية التى نشرت حقيقة أرقام البطالة فى اسرائيل التى ارتفعت فى العام الأخير وحده بنسبة ٢٠٠٪ وأصبحت حوالى ١٠٠ ألف عاطل .

اكثر من هذا أن المعروف عن تركيب المجتمع الاسرائيل أن ١٣٫٣٪ من القوى العاملة يمتصها قطاع الزراعة غير ٢٥٫٥٪ فى الصناعة مع ٩٫٦٪ فى قطاع التشييد ، ليبقى أكثر من نصف القوى العاملة وبالتحديد ٥١٫٦٪ فى قطــاع الخدمات . وهــو تركيب غير متزن مما جعل حكومة اسرائيل مشغولة طوال العام الماضى فى البحث عن حل لفك هذه المعادلة الصعبة بامتصاص قدر من نسبة العاملين فى الخدمات فى عمل انتاجى ، وخصوصـــا فى المجالات التى تعانى فيها اسرائيل عجزا فى القوى العاملة .

والمعروف أن اسرائيل تجد الحل لمشكلاتها الاقتصادية فى سيل الاعانات غير المحدودة التى تصل من الحكومة الامريكيـــة والمنظمات الصهيونية التى تتحرك من مقرها الرئيسى فى نيويورك .

الى هنا وليس فى كل ما قلت جديدا ، ولكن الغريب أن دولة هذا حالها اذا بها تقدم المساعدات لدول أخرى . تصوروا أن اسرائيل التى تعيش على الاعانات تقدم لدول فى أفريقيـــا وأمريكا اللاتينية مساعدات . !

وابعاد حركة اسرائيل فى هذا المجال أكثر اثارة للغرابة :

فهى تساعد هذه الدول فى مجال الزراعة باعتبار أن المشكلة الزراعية واحدة من أهم مشاكل دول العالم الثالث ، والتى يعتمد اقتصاد أغلبها على سياسة المحصول الواحد مع مواجهة أكبر نسب تكاثر فى السكان • ولو رجعنا الى تركيب القوى العاملة فى اسرائيل لوجدنا أن ما لديها من قوى تعمل فى الزراعة لا يكاد يكفى احتياجات الزراعة الاسرائيلية • ومع ذلك فهى تبعث بخبرائها الى عدد يصل الى ١٩ دولة فى افريقيا وأمريكا اللاتينية لمساعدتها فى مجال الزراعة •

ودخلت اسرائيل دول العالم الثالث من باب آخر غير الزراعة وهو تدريب الشباب واعدادهم لتحمل مسئولية البناء وذلك عن طريق اقامة معسكرات العمل على مثال معسكرات العمل الاسرائيلية .

الأغرب من ذلك كله أن اسرائيل تصدر لهذه الدول أطباء مع أن المجال الصحى هو أكثر مجالات العجز فى اسرائيل لدرجة أنها أصبحت تشترط مهنا محددة للمهاجرين الذين تفضلهم عن غيرهم •

وبديهى أن دولة ذات كيان مصطنع مثقل بالأعباء تقوم بتقديم مساعدات لعدد من الدول وليس لدولة واحدة مثلا انما هى مسألة تحتاج الى بحث .

والمسألة ببساطة هى نتاج دراسات سيكولوجية قامت بها أجهزة الولايات المتحدة ، فقد اتضح لها أن الدول حديثة الاستقلال أشد ما تكون حساسية فى حرصها على هذا الاستقلال السياسى ووجدت أن تحركاتها فى بعض الأحيان تحاط باطار من الشك والمراقبة • وبدلا من مواجهة صريحة لجأت السياسة الامريكية الى البحث عن أبواب خلفية ، أو التسلل من الدهاليز . ووجدت

انه يمكنها أن تقدم اسرائيل كدولة صغيرة ، وبالتالى ينتفى عنها الرغبة فى استعمار هذه الدول . وفى نفس الوقت هى مستعدة لتقديم العون والمساعدة • ومن الطبيعى أن تتلقف بعض الـــدول ذلك باعتباره طريقا للهرب من الضغوط الامريكية دون أن تكتشف أن اسرائيل لا تقوم الا بدور « المحصل » الذى يحصل على الأموال من مصـــــادرها ويقدمها الى قنوات انفاقها مقابل عمولة النقل والتوصيل •

ويكفى أن نلقى نظرة على مواقف اسرائيل السياسة فى الأمم المتحدة لنجدها دائما مجرد صدى للسياسة الامريكية ، وأنها لم تعارضها مرة واحدة الا فى المسائل التى ليس لمعارضتها خطر أو ضرر على المصالح الامريكية أو أن تكون معارضتها نوعا من الدلال لتحصل على مزيد من المساعدات •

واسرائيل أيضا تقوم بدور الترسانة المســـلحة ، والتى فوجىء العالم كله بضخامة ما حشد فيها من قدرات حربيـــة • ومن المعروف أن الترسانة المسلحة هى مصدر لتـــدمير أو كبت الحركات الوطنية فى المناطق المحيطة بها .

وقد قامت اسرائيل مرتين ـ خلال عشرة أعوام ـ بدور الأداة العسكرية للاستعمار ، وهى قطعا على استعداد للقيام بهذا الدور فى أى وقت تتلقى فيه التعليمات من الاستعمار •

وليس معنى ذلك أننى لا أعطى لأهداف اسرائيل ومطامعها اهمية • ولكن واقع هذه المطامع لا يتعارض مع مخططات الاستعمار الأمريكى أو يتناقض معها بل بالعكس يكاد الاثنـــان أن يكونا لونين فى ثوب واحد •

والدول الافريقية لم تصدق حقيقة دور اسرائيـــل الا فى

السنوات الأخيرة فحسب ، مما دفع بعضها الى اعـــادة النظر في الاتفاقات التي كانت معقودة معها •

ولعل ظاهرة هامة تلفت النظر في علاقة اسرائيل كقنـــاع بالاستعمار الأمريكي ، وهي أن الولايات المتحدة وحدها دون كل دول العالم هي التي تتبنى حماية الدول العنصرية في العالم • والمعروف أنه ليس هناك دول تعلن موقفها العنصري رسميا سوى اسرائيل وجنوب أفريقيـــا • واسرائيل تعيش على المساعدات والاعانات الأمريكية بينما تعيش جنوب أفريقيا على الاستثمارات الأمريكية • وكلتاهما ترسانة مسلحة • ربما كان الفارق الوحيد أن العالم قد قبل فرض حصار حول جنوب أفريقيا لم ترفضه سوى الولايات المتحدة وبريطانيا والبرتغال •

واستطرادا للحديث عن الدول العنصرية أجد نفسي مدفوعا للاشارة الى شيء قد يصعب تفسيره الا على ضـــوء الاســـتعمار الأمريكي • فالرأسمالية الأمريكية تدعي أنها تساعد اسرائيـــل باعتبار أن اليهود قد تعرضوا لارهاب النازية واضطهادهـــا الأمر الذي رأت معه ـ انسانية منها ـ ضرورة تعويضـــهم • وفي نفس الوقت الذي تقوم فيه الولايات المتحدة بدور الملاك الذي عـــذبه ضميره اضطهاد اليهود فان أحدا لا يشـــير الى دور الرأسماليـــة الامريكية وفي مقدمتها بيت روكفلر في اقامة البنـــاء النـــازي • فالنازية خلافا لما هو شائع على المستوي الجمـــاهيري هي فكر بورجوازي ارتدى ـ خداعا للبصر ـ اسم الاشتراكية الوطنية ، وهذا الحكم العنصري قام أساسا على أعمدة من الاستثمـــــارات الأمريكية • وقد كانت هذه الاستثمارات سببا في وقوع خلاف بين أكبر بيتين ماليين في أمريكا وهمـــا روكفلر ومورجان حيث كان مورجان يعارض النازية ولكنه سارع بعد ذلك أمام مكاسب روكفلر

المتزايدة الى المشاركة معه • وكان الاستعمار الأمريكى لا يكتفى فقط بمجتمعه القائم على التفرقة العنصرية بل يتبنى الدعوات العنصرية ويحمى التجارب العنصرية ابتداء من النازية وانتهاء — حتى الآن — الى اسرائيل •

وربما كان ما يثير الأسف فعلا أن الاستعمار الأمريكى بعنصريته لم يتعرض للنقد فى أى مؤتمر على المستوى الرسمى من دول العالم الثالث ابتداء من مؤتمر باندونج حتى آخر مؤتمر للعالم الثالث على مستوى الحكومات • وكان يعتبر مجرد الاشارة الى رفض الاستعمار الجديد بمثابة اشارة الى نقد الاستعمار الامريكى • حتى التفرقة العنصرية فى أمريكا نفسها لم تتعرض للنقد أو التعليق على المستوى الدولى مع أنها أبشع من أى تفرقة عنصرية أخرى فى العالم كله •

وعلى نفس الطريق نجد أن اسرائيل لم تتعرض لنقد حقيقى فى معظم المؤتمرات التى عقدت على مستوى العالم الثالث ، وأن زعماء لهم مكانتهم الدولية كانوا يرون فى وجودها ما يختلف تماما عن أنها قنطرة للاستعمار الأمريكى فى العالم الثالث • ولم يفق معظم هؤلاء الا بعد عدوان اسرائيل الجديد فى حماية الولايات المتحدة ، وظهور اسرائيل فى ثوب الترسانة المسلحة •

وبذلك أصل الى أن اسرائيل هى أداة مثلها تماما مثل القواعد والاستثمارات فى يد الاستعمار الأمريكى ، حتى فى تأثيرها على السياسة الامريكية نجدها تماما مثل الاستثمارات وغيرها من أقنعة الاستعمار •

فهى قادرة على الضغط على السياسة الأمريكية اذا ما اعتراها نوع من التردد أو الخمول مثل قدرة أصحاب الاســـتثمارات فى الضغط على السياسة الأمريكية تماما لتحقيق مصالحهم ٠

فهى عملية تفاعل ومنفعة متبادلة بين الطرفين ، تحقق لكل منهما أطماعه وتنفذ له مخططاته ٠ ولذلك كانت أى دراســـة أو مجابهة مع اسرائيل لا بد أن تمتد بطريقة أو بأخرى الى الاستعمار الأمريكى فى أى وجه من وجوهه ٠

القسم الثالث

أمثلة من الواقع

- فيتنام
- انقلابات عسكرية
- الدومينكان
- كوبا

بعد كل هذا الحديث عن أصول الاستعمار الامريكي واقنعته كان لا بد من القاء نظرة على واقعنا المعاصر حتى نرى ما لا يمكن أن تكذبه العين من صور الاستعمار السافر الصريح •

وهي صور جرت كلها خلال الأعوام الخمسة الماضية فقط ، ومع كل يوم جديد يزداد عدد تجارب الزحف الاستعماري الأمريكي في الوقت الذي يكاد لا يكون هناك استعمار عسكري غيره مع ما بقي من فلول الاستعمار البرتغالي في أفريقيا •

وليس هنـــاك شك في أن السياسة الاستعمارية الامريكية يمكن أن تحقق تجارب أكثر مالم تسارع كل القوى الوطنية الى توحيد صفوفها والعمل في تعاون وتنسيق ـ لشن حرب على الاستعمار الأمريكي في كل مواقعه وبكل صوره •

الفصل الثامن

حرب فيتنام

صدام أقدار .. يجرى على أرض فيتنام بين قــوات الثوار ــ الفيت كونج ــ وبين القوات الأمريكية وفى ذيلها يعلق عدد من قوات بعض الدول . تلاحقه أنفاس العالم اللاهثة ، وهــو يجرى وراء امكان تحقيق السلام هناك . وهو صدام أقدار لأن ما سوف ينتهي اليه حتما سيحدد مصير الطرف الآخر ربما لسنوات تمتد حتى نهاية القرن العشرين كله .

وقد أعلن كل جانب شروطه للدخول فى المفاوضات وان كانت موجة التفاؤل قد أخذت تبرد ، ولعل السبب فى هذا لا يرجع الى صعوبة الوصول الى حل بقــدر ما يعود الى الظروف التى أحاطت بدعوة السلام وكانت بمثابة « الدش » البــارد على الحمــاس الذى صاحبها .

أولا : ان حملة السلام الأمريكية التى جرت فى العام الماضى (١٩٦٦) قد جرت فى ظل تعبئة تكاد تكون كاملة لأجهزة الاعــلام فى الولايات المتحدة ومعها الغرب كله ، والتفت العالم الى الحملة التى تبهر العيون ، وربما كانت المبالغة فى تضخيم الحملة دعائيا من بين الأسباب فى اثارة الشكوك فى حينها وترجيح البعض كفة القائلين

بأنها مجرد حملة استعراضية » وأن عيبهـــا الكبير أنهـا افتقدت الاعتراف بأصحاب المشكلة والطرف الآخر فى الحرب •

ثانيا : ان حديث السلام والتفاوض قد صاحبه فى نفس الوقت حديث تعبئة عسكرية بلغت الى درجة تعمد ابراز اضافة احدى القطع البحرية الذرية الى الأسطول السابع ، واعلان استمرار تزايد القوات الأمريكية فى فيتنام حتى أنه كان مقدرا لها أن تصل الى حـوالى ٤٠٠ ألف جندى حسب تقدير الصحف الأمريكية ، وهو رقم يقرب من تعداد القوات الأمريكية التى اشتركت فى الحرب الكورية وكانت ٤٦٧ ألفا ، مع العلم بأن القوات الموجودة فعلا فى فيتنام وقتهـــا كانت تصل الى ١٩٠ ألفا غير ٥٠ ألف جندى على ظهر قطع الأسطول فى عرض البحر •

وضخامة الامدادات التى تتلاحق على فيتنام رجحت احتمال أن تكون حملة السلام وبخاصة بما صاحبها من دعاية هى ليست الا ستارا يخفى اتجاها لتوسيع نطاق الحرب •

ثالثا : ما يتردد حول اعادة النظر فى اســـتراتيجية جنوب شرقى آسيا فى ضوء ما ترسمه بريطانيا من الانسحاب من معظم مواقعها فى المنطقة التى تطلق عليها « شرق السويس » باستثناء نقط محدودة فى ماليزيا واستراليا ونيوزيلندا •

وترتكز خطة بريطانيـــا أساســـا على أن تترك مزيدا من المسئولية فى المنطقـــة للولايات المتحدة التى كانت تريد أن تجر حليفاتها الى مواجهة الموقف بجنوب شرقى آسيا ولو كان بمساعدات رمزية •

ولو وضعت كل هذه العوامل جانبا لأمكن الوصول الى حقيقة أن استمرار الحرب لن يحل المشكلة وانما سوف يحمل كلا من طرفيها خسائر فادحة •

فخطأ فادح أن يترك للعسكريين وحدهم الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الموقف ، لأنهم بطبيعة عملهم يعتقدون أنه لتحقيق الفوز لا بد من مزيد من العمليات الحربية وهكذا حتى يجد العالم نفسه قد امتصته لهيب حرب شاملة •

والخطأ هنا أن الفكرة أو العقيدة لا يمكن أن تحاربها القنابل، والسلام لا يمكن أن يتحقق بقوة السلاح ويعتبر سلاما •

وربما كانت أمريكا تدرك أن ثمن استمرار الحرب باهظ • فاستراتيجية حرب فيتنام ليست في صالح الولايات المتحدة ، اذ أن هناك فارقا كبيرا بين مواجهة انقلاب ومواجهة حرب تحرير ، وكلما كثرت الامدادات الخارجية الى جـــانب جيش حكومة فيتنام الجنوبية كلما ازدادت صلابة المقاومة الشعبية وكسبت تأييدا أكثر باعتبار أنها تحرر أرضها من تدخل خارجي •

ومن هنا نصل الى أن حكومة فيتنام الجنوبية ـ ان جاز اعتبار أن هناك حكومة ـ غير قادرة على مواجهة الموقف •

والمساعدات بدل أن تقدم لتعويض ما أفســـده الحكم الطويل للاستعمار اذا بها تتجه الى تدعيم وجودالبعض ورفاهيتهـــم ثمن خيانتهم لبلادهم •

وهي مثل « بيت جحا » دائرة مفرغة ، فان المســـاهمة في البناء الحقيقي للهيكل الاقتصـــــادي لهذه الدول التي خرجت من الاستعمار معناه أن تصبح قوة اقتصادية لها وزن وليست سوقا للاستهلاك والتصدير للسلع الأولية ، وهو أمر يتناقض مع بديهيات الاستعمار الجديد •

وخطورة الموقف اليوم في فيتنام تتمثل في أن الثوار على ثقة من أن هزيمتهم تعني انتكاسة ضخمة لها مضاعفات متعـــددة في

المنطقة ، وقد تخرج منها لتمتد الى مناطق أخرى من العالم • ولذلك فهم يدافعون عن وجودهم وعن مستقبل العمل الثـــورى على هذا النمط الذى بدأ من الصين ثم انتقل الى فيتنام الشــمالية ثم الى فيتنام الجنوبية ، ولا زالت هناك مناطق أخرى صالحة للانفجار بمجرد أن ينتصر جيش التحرير •

وفى نفس الوقت فان الولايات المتحدة تدرك أن هزيمتها فى فيتنام سوف تعنى تحرر كل جنوب شرقى آسيا وربما آســـيا بسرعة ، وسوف تمتد حتما الى مناطق أخرى حتى تجد الولايات المتحدة نفسها مع بعض حليفاتها محاصرة من كل جانب •

ويبدو أن مخطط أمريكا كان يعتمد أساسا على اســـتمرار الوجود الأمريكى فى فيتنام لسنوات طويلة • والواضح أن مخططى سياسة الولايات المتحدة قد حسبوا أبعاد الموقف ، واتضح منه أمام أنظارهم أن كثيرا من العوامل تدفع الى استمرار وجودهم •• ولعل أبرز هذه العوامل :

١ ـ ان الحرب فى فيتنام الجنوبية الى جانب الغارات الجوية على فيتنام الشمالية قد أثارت سخط الرأى العام العالمى ، ولكن هذا السخط لم يتحول الى عمل مضاد ، بل وقف عنـــد حد الكلمات والمظاهرات •• والحكومة الأمريكية تعودت على سماع كلمات النقد• حتى أنه لكثرة ما قيل لها لم يعد هناك جـديد يضاف ، وأصبحت المسألة تكرارا لما سبق أن سمعته •• !!

٢ ـ أن الأمم المتحدة ـ فى ظل الموقف الدولى الراهن وبحـكم ظروفها وامكانياتها ـ غير قادرة على اجـراء أى عمل حقيقى ضـــد ارادة الولايات المتحدة ، وبالتالى عمل أى شىء فى فيتنام • ولعـل أصدق تعبير عن ذلك هو كتاب الاستقالة الذى قدمه يوثانت السكرتير

العام لها والذى ذكر فيه أنه « غير قادر على عمل جدى من أجـــل السلام » •

٣ ـ ان الحكومة الأمريكية تتصور أن غاراتها على فيتنام تزيد من بعد المسافة بين موسكو وبكين حيث تتبادل كل منهما الاتهامات حول موقف الأخرى من هذه الحرب •• واستمرار الحرب فى نظر وشنطن يزيد من حدة الأزمة بين موسكو وبكين وهـــذا ما تريده السياسة الأمريكية •

٤ ـ أن الصين الشعبية باعتبارها مصدر الخطر فى احتمالات توسيع نطاق الحرب مشغولة بأحداثها الداخلية ، ولقد كشفت أحداث الحرب طوال الأعوام الثلاثة الماضية ان الصين الشـعبية لن تدخل الحرب صراحة طالما أن عدوانا على أرضها لم يقع بعد وأن احتمال وقوع هجوم مباشر عليها لا يزال بعيدا عن المخططات الأمريكية •

ولحماية الوجود الأمريكى فى فيتنام تقـــرر رفع عدد القوات الأمريكية عموما من ٢ر٦ مليون جندى فى ديسمبر ١٩٦٤ الى ١ر٣ مليون فى يونيو ١٩٦٦ •• وفى داخل هذا الاطار ارتفع عدد القوات الأمريكية فى فيتنام من ١٨٢ ألفا الى ٣٢٠ ألفا ، والمفـــروض أنه أصبح ٤٠٠ منذ ديسمبر سنة ١٩٦٦ • وسوف يصل الى ٧٠٠ الف قبل نهاية العام الحالى •

ومع زحف القوات المسلحة ، تقدمت الشركات الأمريكية للعمل تحت « المظلة العسكرية » ، وأبرز هذه الشركات هو التحالف المكون من أربع شركات (١) تتولى أعمالا قيمتها ألف مليون دولار أى أكثر من ٦٠٪ من الناتج القومى كله لفيتنام !

---

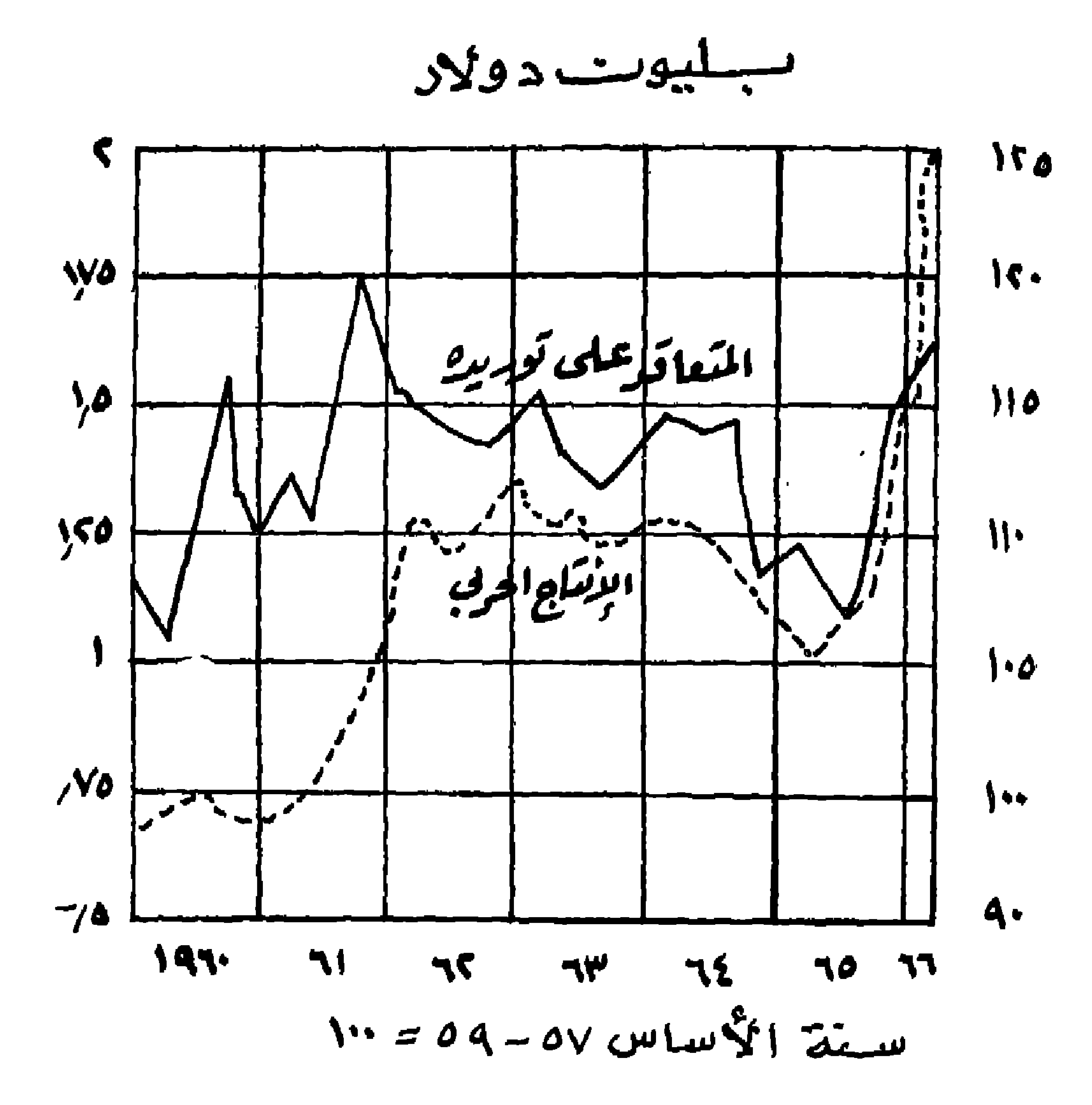
(١) الشركات الأربع هى Raymand International ومقرها نيويورك — Morrison-Knudsem بمدينة بويز بايداهـو — Browng Root بهيوستن ـ تكساس J. A. Jones. بشارلوت ـ كارولينا الشمالية •

وقد بدأت الشركات عملها فى عام ١٩٦٢ بعقد انتـــاج مع البحرية الأمريكية قيمته ١٥ مليون دولار تقوم به شركتان ·· ثم أضيف له عقد عام ١٩٦٣ قيمته ١٩ مليونا من الدولارات وارتفع الرقم الى ١٥٥ مليونا عام ١٩٦٥ حتى أصبح فى ١٩٦٦ ـ ٨٠٠ مليون دولار ، غير ٢٠٠ مليون تنفذ من خلال البحرية مباشرة · والمفروض أن يتم انتهاء تنفيذ هذه العقود فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وتبلغ نسبة ربح ٣٪ على التكاليف · وقد بلغ دخل شركة واحدة منها ـ هى شركة موريسون ـ فى عام ١٩٦٥ أكثر من ٨٦٨ ألف دولار ·

وتأكيدا للرابطة بين العسكرية والرأســمالية فى الولايات المتحدة نجد أن ادارة عمليات الشركات يتولاها مدير مقيـم هــو « بيرترام بيركنز » نائب رئيس شركة موريسون · وهـــو مهندس بحرى اشترك فى حرب كوريا ، ونال عددا من « الميداليات » لاشتراكه فى ١٢٥ غارة ، ويساعده الأدميرال « روبرت وودنيج » وهو مهندس بحرى أيضا وابن أحد كبار مهندسى شركة جنرال اليكتريك ·

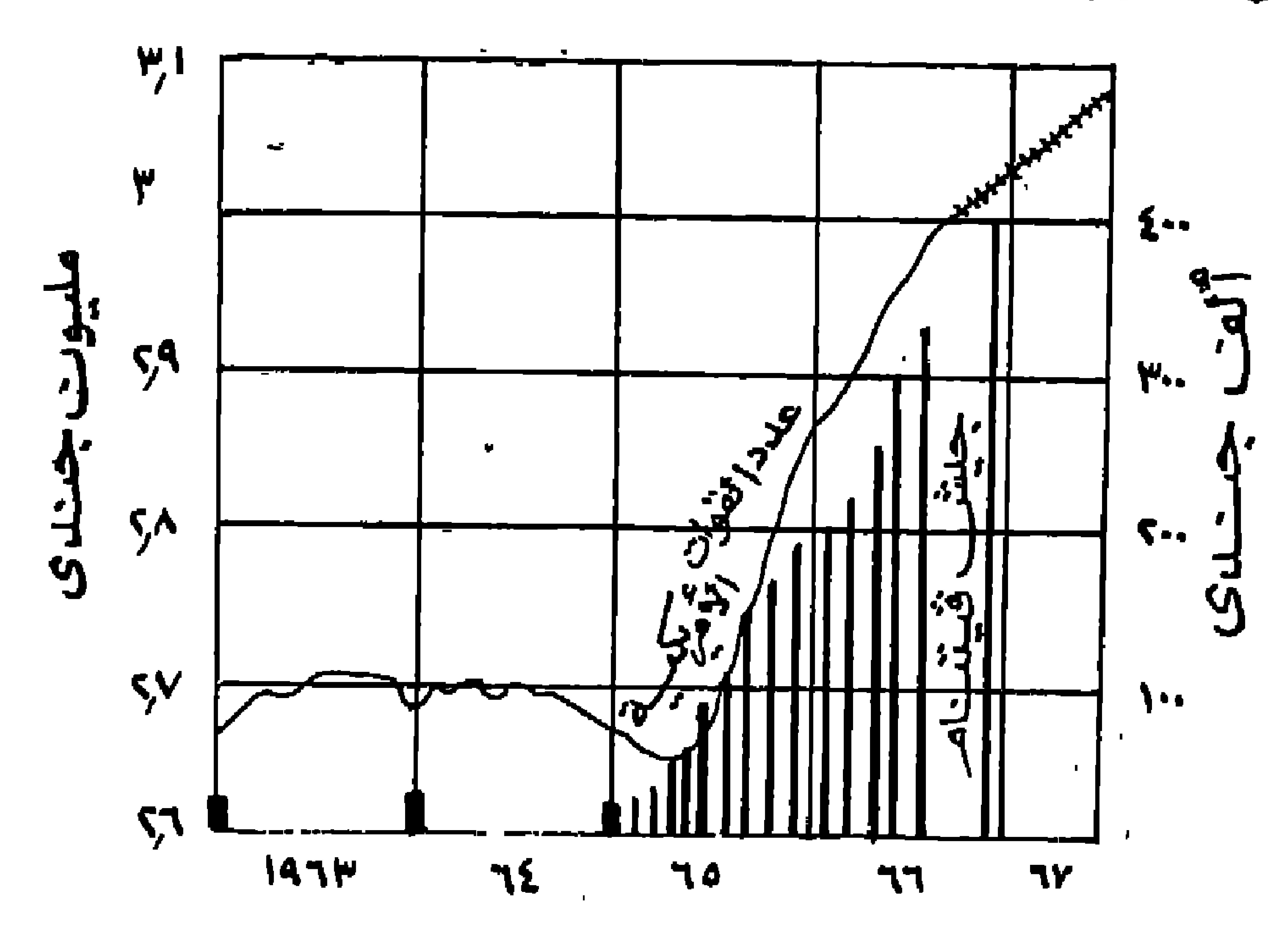
وواضح أن عمليات الشركات تزداد مع كل زيادة فى عـــدد القوات الأمريكية بفيتنام · ولعل هذا يبين ســبب وقوف دوائر الأعمال وراء سياسة تزايد القوى العسكرية الأمريكية فى فيتنام · فقد ترتب عليها أن ارتفع معدل شراء وزارة الدفاع للسلع والمواد والخدمات من ٤٩ ألف مليون دولار عام ١٩٦٥ الى ٥٧ ألف مليون دولار عام ١٩٦٦ · وينتظر أن يصل الى ٦٥ ألف مليون دولار عام ١٩٦٧ أى بزيادة ١٦ ألف مليون دولار فى عامين فقط ·

وقد ظهر أثر ذلك واضحا على الانتاج الحربى الذى يتضح من الرسم البيانى التالى ·



ومعنى ذلك أن الانتاج قد ارتفع عن سنة الأساس بمعدل ٢٥٪ حتى عام ١٩٦٥ . ثم يصل هذا الرقم الى ٤٠٪ فى عام ١٩٦٦ .. والأمر لم يقف عند هذا الحد بل امتد الى عـدد القـوات الأمريكية نفسها ، فبعد أن اتجه الرأى فى يناير سنة ١٩٦٥ الى خفض عدد القوات المسلحة من ٢٫٦٦٣٫٠٠٠ جندى الى ٢٫٦٤٠٫٠٠٠ ، وفعلا نفذ ذلك ــ الا أن المخطط تغير نحو رفع عدد هذه القوات لتصبح

٣٫١٠٠٫٠٠٠ جندى فى يونيو سنة ١٩٦٦ ، أى باضافة ٢١٩ ألف جندى خلال عام واحد ، وبذا تصبح الزيادة فى عامين اثنين فقط ٥٦٥ ألف جندى فى ظل الاستراتيجية الجديدة التى تقوم اساسا على « الحرب المحدودة » .



وليست المسألة مجرد زيادة عدد القوات اذ أن هذه الزيادة لابد أن تتبعها زيادة فى الانفاق الحربى ، فالمعروف أن الجندى الأمريكى يتكلف ٥٫١٠٠ دولار سنويا ، ويرتفع الرقم بمعدلات مختلفة فى فيتنام الى ٦٫٢٠٠ دولار سنويا . ولذلك بلغت المزانية العسكرية للسنة المالية ١٩٦٧ مبلغ ٥٨٫٣ ألف مليون دولار وهو أكبر رقم بلغته فى تاريخ الولايات المتحدة .

وحتى لا تتوه الحقيقة لابد أن تكون رؤية الصورة من خلال

حرب فيتنام نفسها حتى يتأكد فى الأذهـان أن وراء الحرب تقف طبقة كبار رجال الاعمال فى أمريكا ٠

فقد كانت القوات الأمريكية فى فيتنام فى بداية عام ١٩٦٦ لا تزيد على ٢٣٥ ألف جندى كانت تكاليفهم السنوية تبلغ ١٣ بليون دولار ٠ وبحساب ما يتكلفه وجود ٤٠٠ ألف جندي يرتفع الرقم الى أكثر من ٢١ بليون دولار باعتبار أن هذه القوات تستهلك شهريا ـ حسب بيانات ماكنمارا ـ مستلزمات قيمتها ١٠٠ مليـون دولار للبحرية غير ١١٠ ملايين دولار للقوات الجوية ٠ وقد وصل ما تستهلكه القوات فى فيتنام الى معدل ٢٫٦٥٠ بليون دولار سنويا ٠

وأهم ما تركته الحرب المحدودة فى فيتنام من آثار على الصناعة الأمريكية هى أنها أعادت لصناعة السيارات دورها فى الانتاج الحربى الذى كانت قد فقدته فى السنوات الأخيرة نتيجـة للتحول الى الصواريخ والأسلحة الذرية ٠ فبعد أن كانت قيمة الانتاج الحربى من السيارات عام ١٩٦٠ لا يتجاوز نصف بليون دولار اذا به يرتفع الى حوالى ٣ بلايين دولار عام ١٩٦٦ ٠

أكثر من كل هذا ، أن الحرب قد أدت الى ارتفاع مستمر فى الأسعار داخل الولايات المتحدة مما يعتبر ربحا صافيا للشركات ، حيث ان هذا الارتفاع لا يحدث دائما نتيجة زيادة فى التكاليف وانما هو غالبا وليد زيادة غير طبيعية على الطلب ٠

والجدول التالى يبين نسبة الارتفاع فى الأسعار بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٦ فى بعض السلع الضرورية :

البنــد	الارتفاع	البنــد	الارتفاع
اللحوم والسمك	٣ر١٦٪	الأدوية	٩ر٢٪
الأطعمة	١ر٦ ٪	العلاج	١ر٢٪
الايجارات	٢ر٢ ٪	السلع الاستهلاكية	٥ر٢٪
الأحذية	١ر٤ ٪	المواصلات	٧ر٣٪
تكاليف المعيشة	٦ر١١١٪عما كانت عليه ١٩٥٩		

والمستفيد من ذلك كله هى دائرة محـــدودة ، وهى التى يشمل اطارها العام أكبر ٥٠٠ شركة أمريكيـــة تمثل ١٪ من الشركات بأنواعها ، وتحتكر أكثر من ٦٠٪ من جملة مبيعـــات الصناعة ، وحوالى ٧٠٪ من الأرباح • وقد كانت أرباحهـا ٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٥ ومبيعاتها ٢٩٨ بليون دولار •• وبينها ٦٠ شركة زادت مبيعات كل منها على بليون دولار •

ولا يمكن أن يخرج « مليونيرات » الولايات المتحدة عن هذه الدائرة • ونجد أنه داخل الدائرة المغلقة يتسع المجال للوصول الى درجة « المليونير » • فمن عام ١٩٤٨ أى بعد الحرب العالمية الثانية ومع موجة العسكرية المتزايدة نجد أن عدد « مليونيرات » الولايات المتحدة قد تضاعف ٧ مرات حتى أصبح عـــام ١٩٦٥ حوالى ٩٠ ألف مليونير •• وكان هذا العدد عام ١٩٦٢ هو ٦٧ ألفا أى أنه قفز بزيادة قدرها ٢٣ ألف مليونير جديد فى خلال ٣ سنوات •• !

ولكن المخطط الذى كان يسير على أساس حماية الوجـــود الأمريكى بالحرب طويلة النفس قد تغير الى مرحلة جديدة ربما كانت أعنف من التى سبقتها وأشد خطورة • ولعل مايفرض هذا الاحتمال هو :

ان الحرب قد أخذت طابعا من العنف والتركيز لم يسبق للقوات الأمريكية أن نظمته حتى بدت وكأنها تريد الانتهاء من شيء بأسرع وقت ممكن !

فقد بدأ في يناير الماضي (١٩٦٧) أول هجوم حربي ضخم على دلتا نهر ميكونج التي تسيطر عليها قوات الفيت كونج • ويشترك في الهجوم ١٠ آلاف جندي غير سلاح الطيران الأمريكي الذي سبقهم على مدى يومين متواصلين بضرب المنطقة بالقنابل الثقيلة والحارقة وصاحبتهم مظلة جوية حامية •

في الوقت نفسه خرجت الغارات الأمريكية على فيتنام الشمالية عن طريقها الذي سلكته منذ بدأت غاراتها وذلك بضرب المناطق السكانية والبعيدة تماما عن الأهداف العسكرية •

ويبدو أن الخطة الأمريكية تهدف الى تحقيق كسب سريع في الميدان الحربي يسبق تغيير الخطة لانهاء الحرب خلال عام أو عامين •

وهناك واحد من احتمالين وراء تغيير الخطة • أما محاولة تحقيق نصر قبل التفاوض فهي سياسة أمريكية أصبحت شبه تقليدية محفوظة •

فان استمرار الحرب أكثر من عام آخر أو عامين على أكثر تقدير لم يعد في صالح الولايات المتحدة • وليس ذلك من باب التمني بل هناك واقع يؤكده •

أولا : فقد نجحت الصين الشعبية في تجربتها الذرية التي جرت في (آخر ديسمبر الماضي ١٩٦٦) • وأثبتت أجهزة المتابعة الأمريكية أن الصين قد وصلت الى درجة تقدم عالية في المجال الذري أدى الى تفجير هيدروجيني في شهر يونيو الأخير (١٩٦٧) •

وليس سرا على أحد أن الصين سوف تصل بصواريخها سنة ١٩٦٨ الى ٧٥٠ ميلا تغطي فيتنام وفورموزا وتايلاند وشمال الهند حتى سنة ١٩٦٢ حين تغطى صواريخها مجال العالم كله بمدى ٦ آلاف ميل .

وليس سرا أيضا أن الصين تعتبر الخطر الذرى الأمريكى مجرد نمر من ورق . فالقاء نظرة ـ وليس هناك شك فى أن السلطات الأمريكية قامت بالقائها ـ على الحملات المتبادلة بين موسكو وبكين تؤكد أن الصين الشعبية مستعدة للتضحية بأى عدد من سكانها ولو كان الثمن هو الدمار الكامل للولايات المتحدة .

وهذا يعني أن استمرار الحرب لعام آخر أو لعامين يضع احتمال تحول الحرب الى أن تتسع سواء في ميدانها ـ فتشمل أراضي الصين الشعبية والولايات المتحدة نفسها التى لم تتعرض فى تاريخها كله لغارة واحدة ـ او فى أسلحة الحرب التى قد تكون ذرية للمرة الثانية فى تاريخ البشرية بعد هيروشيما .

ثانيا : واذا لم يكن التهديد الذرى الصينى الجديد دخل بغرض محاولات انهاء الحرب سريعا فان هناك اعتبارات أخرى فى داخل الولايات المتحدة نفسها .

فانتخابات الرياسة الأمريكية قد اقتربت حيث تجرى سنة ١٩٦٨ ، وان كانت تبدأ حملاتها مع النصف الثانى من العام الحالى (١٩٦٧) اذ تبدأ انتخابات محلية فى مراكز الحزبين لتحديد المرشح الرسمى للحزب فيهما . وبعدها تبدأ الحملة الانتخابية .

وجونسون يعلم أن مستقبله السياسى كله سوف يتأثر بهذه المعركة التى عليه أن يقرر دخولها أو الاكتفاء من الرياسة بهذه السنوات . وأول ما يجب عليه عمله هو انهاء الحرب فى فيتنام

فاستمرارها يعنى ضرورة فرض ضرائب جديدة لتغطية ما تمتصه ميزانية الحرب ، وفرض الضرائب أمر يثـــير غضب جمهـــور الناخبين ٠

واستمرار الحرب يعنى ضرورة الحصول على اعتمادات مالية اضافية ٠ وجونسون يعلم أن الانتخابات الأخـــيرة قد جـــاءت بتغييرات أهمها تغيير أغلبيته فى لجنة الاعتمادات بمجلس النواب٠ وهذا يعنى أنه اذا نجح فى الحصول على الاعتمادات لتغطية الحـرب هذا العام فليس مضمونا أن يحصل عليها فى العام القادم ٠

ولو أضفنا الى ذلك أن أول لقـــاء بين حكومة جونســـون والكونجرس الجديد كاد يكون حول شرعية الغارات الأمريكية على هانوى باعتبار أن مناقشة الكونجرس السابق قد انتهت عند هـذه النقطة لعرفنا أن صداما محتمل الوقوع بين الحكومة والكونجرس صحيح أنه لن يتجاوز مجرد الكلام دون أثر فعلى على الحكومة الا من آثار تحريك الرأى العام الأمريكى ٠

وبالتالى يتضح أنه لاعتبارات التهديد الذرى الصينى الوليد أو لاعتبارات داخلية فى الولايات المتحدة أو **للاثنين معا على الأرجح** لم يعد فى صالح الولايات المتحدة استمرار الحرب أكثر من عام أو عامين لا بد أن تنتهى منها ــ من وجهة نظرها ــ بالنصر ٠

ان استمرار الحرب رغم أنه يحقق مكاسب هـــائلة للشركات الأمريكية الا أنه يستنزف قدرات انتاجيـــة من المجتمع الأمريكى تخلق تضخما ما زال حتى الآن يمكن التحكم فيه ، ولكنه بعـــد ذلك قد يتجاوز امكانية التحكم فى مضاعفات آثاره ٠

ان استمرار الحرب فى فيتنام يعطى فرصة ذهبية لثورات

أخرى على الطريق تستعد وتنظم صفوفها وتتدرب استعدادا للزحف على السلطة بالأسلوب نفسه ، الذى تم فى الصين وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ٠

وربما كان فى استمرار الحرب تعميق للخلافات بين الولايات المتحدة وبعض حليفاتها ، واثارة المتاعب للدول الحليفة التى تؤيدها مثل بريطانيا التى تواجه حكومتها المتاعب من المعارضة لتأييدها السياسة الأمريكية فى فيتنام ٠

وكل ما تهـــدف اليه الخطة الأمريكية هو وقف الامدادات الضخمة عن الفيت كونج على أساس أن الأسلحة التى يستطيع أن يحملها الأفراد سوف تتأثر بهذه العمليات ٠

ويتصور رجال البنتاجون ـ وزارة الدفاع ـ أن العجز فى السلاح فى أيدى الفيت كونج يفقد جيش التحرير سيطرته على القرى ، وأن التدمير فى هانوى يؤدى الى أزمة اقتصادية فى فيتنام الشمالية قد تؤثر على حكم هوشى منه ٠

ومصدر الخطأ فى تصورات البنتاجون أن ما يجرى على أرض فيتنام الجنوبية ليس عدوانا ولكنه حرب تحرير ٠ وبالتالى فان ولاء القرى لجيش التحرير ليس مصدره ارهاب السلاح ، ولكنـــه الرغبة فى أسلوب آخر للحكم سياسيا واقتصاديا ٠ والشيوعيـة بتعبير دلاس وزير الخارجية الأمريكية السابق لا يمكن محاربتهـا بالقنابل ٠

بل ان الدراسات الاستراتيجية التى تحت يد البنتاجـون تؤكد لهم أن كثيرا ممن انضموا الى صفوف جيش التحرير ليسوا من الشيوعيين ولاهم تحت ارهاب السـلاح ، انما هو تضـــامن أبناء شعب بكل اتجاهاته فى تحرير أرضه ٠

واستمرار الحرب وسقوط القتلى أصبح طريقا معروفا لثورات الأحزاب الشيوعية والوطنية في آسيا • وقد سبقت فيتنام الجنوبية اليه فيتنام الشمالية ، وقبلها الصين الشعبية وقبلهما الاتحاد السوفيتى نفسه •

حتى بالنسبة لفيتنام الشمالية فان تدمير الغارات الأمريكية يزيد من صلابة الحزب الشيوعى • اذ يؤكد بالقنابل والنار موقف الرأسمالية من حركات التحرير • فبالنسبة لدولة يحكمها حزب له عقيدة تصبح مسألة أسباب الأزمة الاقتصادية أهم بكثير من الأزمة نفسها • ويترتب عليها أن يتكاتف الشعب وراء حكومته لمواجهة الأزمة •

وكل ذلك عكس بل نقيض لما يتصور البنتاجون أنه قادر على تحقيقه بالغارات على هانوى أو غيرها من مدن فيتنام الشمالية •

ولو أضفنا الى ذلك أنه فى الوقت الذى تزداد فيه صلابة التأييد لجيش التحرير تقف فيتنام الجنوبية دولة بلا حكومة • والبنتاجون لا ينكر هذه الحقيقة ، ويقر بأنها تراث ورثته الولايات المتحدة وأن حله يحتاج لسنوات وليس الى شهور • والغريب أن خطوات فعلية لم تتخذ لبناء جهاز ادارى وحكومة حقيقية فى فيتنام • بل ان ما يجرى الآن فى سايجون يؤكد أن السياسة الأمريكية تساهم فى مزيد من الهدم حتى فيما بقى من مظهر الحكومة هناك • **ويكفى أن نعلم أن الذين يحكمون** فى سايجون يتصورون أن الزعامات الشعبية تصنع فى المكاتب • ولذلك فقد وضعت الحكومة الزعيم البوذى ترى كوانج فى المستشفى وقررت عزله عن الشعب مع تركيز الدعاية على تام شاو لعل الشعب يقبله زعيما وهو معروف بميوله الغربية • وكل المظاهر تؤكد أن صنع زعيم ينتهى دائما بسقوط الزعيم الصناعى مع الذين صنعوه •

ولا تقف المسألة عند حد عدم وجـود حكومة بل ان قائمـة العسكريين تســـاعد ـ بطريق غير مباشر ـ على تدعيم موقف الحزب الشيوعى فى فيتنام الجنوبية وحوله جيش التحرير • فان تزايد عدد القوات الأمريكية يعنى مزيدا من الانفاقات التى تبعثر فى كل مكان ، وبالتالى يزيد من التضخم وارتفاع الأسعار دون أن يقابله ارتفاع حقيقى فى دخل أغلبية الشعب فى فيتنام • ويترتب على ذلك أن تزيد معاناته مما يدفعه أو يدفع أغلبيته الى الانضمام الى جيش التحرير • وليس هناك من حل لمشكلة التضخم مهمـــا قيدت الحكومة الأمريكية على جنودها فى الانفاق •

وطالما أن الحرب باعتبارها حرب عصابات لا يمكن أن ينجح فيها جيش نظامى مهمـــا كانت قوته وعدده ، وأن الغارات على فيتنام الشمالية لن تحقق المطلوب منها بل تحقق نقيضه ، اذن فليس هناك سوى البحث عن طريق للخروج من الحرب مع الاحتفاظ للبنتاجون بهيبته فى الولايات المتحدة نفسها ، وهو مالا توجـد قوة قادرة عليه سوى دول عدم الانحياز لتجمع بين أطراف المعركة • وأطرافها هم جيش التحرير وحكومة سايجون أولا • فالذى يحارب الجيش الأمريكى فى فيتنام هى قوات جيش التحرير وليست قوات جيش فيتنام الشمالية • وبالتالى فلا يمكن منطقيا أن يتحدث أحد بلسان جيش التحرير سوى ممثليه • وهو أمر لا يجـدى انكاره لأن انكار وجوده لا ينفى وجـــوده الحقيقى والا فمع من تحارب القوات الأمريكية ؟

بل انه من الواضح أن قوات الفيت كونج ليست فى حاجـة الى متطوعين ، وبالتالى الى اشراك دول أخرى معها فى الحرب سواء كانت الصين الشعبية أو الاتحاد السوفيتى أو أية دولة أخرى • وعدم حاجة جيش التحرير الى متطوعين هو أمر تفرضه طبيعـــة

الحرب .. ففى استراتيجية حرب العصابات أن كل جندى منهـا يساوى عشرة جنود فى الجيش النظامى . ومعنى ذلك أن قـوات جيش التحرير التى تصل الى ٢٥٠ ألفا تساوى ٢٫٥ مليون جندى وهو ما لا يمكن تجنيده وجمعه من كل الدول التى قبلت حتى الآن الاشتراك مع أمريكا فى حرب فيتنام . واذا افترضنا أن التقـدم قد غير من النسبة فهى سوف تصبح واحدا مقـابل ثمانية أى ٢ مليون جندى نظامى .

وهذا كله يحدد مجالات الحركة مما يستلزم تغيير الخطة .

فالواضح أن الحـكومة الأمريكية تدخل بالحرب الفيتنامية مرحلة جديدة ، ربما كانت الأخيرة .

فقد غيرت السفير الأمريكى فى سايجون بآخر ، وفى الوقت نفسه غيرت القائد العسكرى . وكلاهما مشهور بسياسة «التهور» أو « المقامرة العسكرية » . وتاريخ السياسة الأمريكية فى فيتنام يشير الى أنها تغير شاغلى المنصبين مع كل مرة تعدل فيها سياستها هناك مثلما غيرت قائد الأسطول السادس قبيل العدوان الغادر فى الشرق الأوسط .

والقائد الجديد فى فيتنام وهو الجنرال ويســتمورلاند طلب بمجرد تعيينه زيادة القوات الأمريكية الى حوالى ٧٠٠ ألف لتحقيق النصر — ! من وجهـة نظره — والمفروض أن جونسون سوف يقرر موقفه من هذا الطلب . والأرجح أنه سوف يقبله ، لأنه لم يسبق أن رفض للعسكرية طلبا . وعلى وصف السـناتور الديمقراطى ماك جفرن أنه « أصبح الكونجرس والرئيس جونسون نفسه سجناء الاعتبارات العسكرية » .

ففى الوقت نفسه وافقت اللجنة العسكرية بمجلس الشيوخ على تعديل فى قانون التجنيد يسمح بأولوية طلب الشباب فى سن ١٩ سنة للتجنيد بعد أن كان الوضع الحالى يعطى الأولوية للذين فى سن ٢٦ · وهذا يوسع من قاعدة التجنيد الى حد بعيد يكاد يصل الى تعبئة كل العناصر الشابة ! ·

وفلسفة المرحلة الجديدة هى أن تصـــل بالموقف الى نقطـة « السلام المفروض » أو بمعنى أدق الاستسلام للشروط الامريكية ·

وربما أرادت الولايات المتحدة اما شغل العالم بانفجـــار مفاجىء فى الشرق الأوسط أو هى تحـــاول القيام بهجوم فى كل الجبهات علها تنتصر فى واحدة منها · ونسيت احتمال هزيمتهـــا فى الكل !

وأعتقد أن المفروض أن تنتهى هذه المرحلة قبـــل انتخابات الرياسة الأمريكية حتى لا يصبح مســتقبل جونسون شـــخصيا فى كفة القدر أو تحت رحمة الشعب الأمريكى ، بل وتلفظه الطبقة الرأسمالية نفسها ·

والواقع أن الذى فرض تغيير الخطة هو أن أرباح الشركات الأمريكية « قد وصلت الى أقصى ما يمكن الوصول اليه فى منتصف عام ١٩٦٥ حيث حققت ٤٨٫٧ ألف مليون دولار أرباحا صافية ، وبدأت بعد ذلك فى الهبوط حتى أصبحت عام ١٩٦٦ ، ٤٢٫٨ من البليون · وصحيح أن الشركات الكبرى مازالت تكسب وأن النقص تأثرت به الشركات الصغيرة ولكنها البداية · وكان لابد من انقاذ الموقف كله اما بانهاء الحرب بأسرع مايمكن حتى ولو أرسل الجيش كله ، واما توسيع نطاق الحرب ·

أرباح أكبر ٦٠٠ شركة أمريكية
بعد خصم الضرائب

السنة	الأرباح (مليار دولار)
١٩٦٠	٧ر٢٦
١٩٦١	٢ر٢٧
١٩٦٢	٢٩
١٩٦٣	٣١
١٩٦٤	٧ر٣٦(سياسة الصناعة)
١٩٦٥	٣ر٤١
١٩٦٦ يونيو	٧ر٤٨ (نقطة التحول)
١٩٦٦	٤ر٤٥
١٩٦٧	٨ر٤٢

وبالتالى تتصاعد من جديد ربحية الشركات •

وفى الوقت نفسه الذى أصبحت ربحية الشركات فيه عند نقطة التحول مما يعرض جونسون لفقدان تأييدها اذا هو أيضا يفقد قدرا أكبر من شعبيته •

وفى الوقت نفسه نجد أن الخطة التى تتبعها الفيت كونج هى الوصول بالموقف الى نقطة الانسحاب الاجبارى اما نتيجة سقوط جونسون فى الانتخابات بسبب سياسة الحرب ، أو نتيجة استحالة تحقيق انتصار حربى • ولذلك اقترحت الصين ـ حسب ما تقوله الأجهزة الأمريكية ـ على فيتنام رسم خطة الحرب على أساس استمرارها ٧ سنوات • **وخصوصا وأن جيش التحرير يسيطر تماما**

على اقليمين من أقاليم فيتنام الخمسة وهما المجاوران لفيتنام الشمالية ولذلك أخذت فى مضاعفة القوات وضرب المنطقة المنزوعة السلاح الى حد أن القيادة الأمريكية تخشى انفصالهما تماما عن الجنوب ، بمحاصرة الاقليمين • وارتبط ذلك بتوقيت المغامرة التى قررت الرأسمالية الأمريكية أن تقوم اسرائيل بتنفيذها فى الشرق !

والغريب أن الحكومة الأمريكية لا تريد أن تقبل حقائق التاريخ بأن أى حرب تحرير مهما طالت ومهما كانت ضخامة الجيوش تنتهى بانتصار جيش التحرير •

وليس ذلك شعارا أو كلمات حماسية ولكنه واقع لا يمكن انكاره •

وعلى ذلك كانت القوى الاستعمارية عبر التاريخ تنهزم ولا تجد لها مكانا الا فى « مقبرة الأفيال » • وهو ماخبرته بريطانيا وفرنسا وهولندا وغيرها • حتى أمريكا نفسها عرفته فى كوريا •

ولعل مايلفت النظر أن هذه الدول بدلاً من أن تهضم التجربة وتعطى خبرتها لغيرها ، فانها تساعد حليفاتها على أن تسير على الطريق نفسه • وربما كان ذلك بفعل التناقضات التى بين الدول الرأسمالية • وربما كان ذلك بفعل عقدة « المهزوم » الذى يريد أن يرى كل أصدقائه مثله • ومع أن كلا من العاملين موجود الا أن أولهما هو الأقوى •

وهذا يوضح لنا موقف معظم الدول الغربية من السياسة الأمريكية فى فيتنام والشرق الأوسط ، فليس جديدا أن تؤيدها بريطانيا مثلا وان كانت لا تشترك معها • اشتراكا ايجابيا والجديد هو اشتراك ألمانيا الغربية فى حرب فيتنام ، وهو ما يحاط بكل سياج السرية •

فالمعروف أن وزارة الدفاع الأمريكية اعتمدت هذا العام ٢٣٠ مليون دولار للحرب الكيماوية . وتقوم بتنفيذ البرنامج ٥٢ جامعة وكلية أمريكية تستخدم ٦ قواعد عسكرية كمراكز أبحاث أكبرها فيتنام نفسها . وتجرى التجارب على صاروخين أحدهما مداه ١٢ ألف ياردة والآخر ١٠٠ ميل ، وكلاهما يحمل رءوسا تحمل غازات سامة أو جراثيم أمراض .

وتشترك حكومة ألمانيا الغربية فى هذا البرنامج بعدد من الخبراء يعملون فى مراكز الأبحاث الأمريكية بعلم وموافقة من حكومتهم . ويعمل هؤلاء على تطوير قنبلة غاز «الليثال» التى كانت تستخدم فى معسكرات الاعتقال النازية . وتشرف عليها المؤسسة الألمانية « فيرويرك هويشت » .

وخصوصا وأن التطور نحو الحرب الكيماوية يمكن ، أن يجرى فى ظل ظروف معقدة ، والحرب الكيماوية قد تكون السلاح الجديد فى حالة توسيع نطاق الحرب ودخول الصين ، وذلك تجنبا لاستعمال الأسلحة الذرية التى لا يمكن التحكم فى ردود فعلها سواء عسكريا أو سياسيا .

هذه صورة من الواقع للاستعمار الامريكى ، تجسد كل مايهتم به اليوم من تبجح وشراسة .

الفصل التاسع

الانقلابات العسكرية

ان موقف الولايات المتحدة من الثورات الشعبية فى العالم الثالث لم يكن يخرج عن :

١ ـ الحيلولة أساسا دون خروجها الى الواقع سواء بالكبت أو سحقها فى المهد •

٢ ـ الثورة التى تفلت من الضغط وتخرج الى الحياة تحاول احتواءها بكل وسيلة ابتداء من الاغراء حتى الاعتداء المسلح •

٣ ـ فان بقيت الثورة : بعد كل هذا فان مصيرها مواجهة واحد أو سلسلة من الانقلابات العسكرية كوجه من وجوه الثورات المضادة •

وقد شهد العالم الثالث موجة من المد الرجعى ابتداء من الربع الأخير سنة ١٩٦٥ ، وسياسة التصاعد بالحرب الأمريكية فى فيتنام تقفز بسرعة مثيرة لغضب الرأى العام العالمى •

وواضح من المخطط الذى جرت فى اطاره الانقلابات العسكرية أنه يهدف الى دخول دول لم يكن للاستعمار الأمريكى وجود قديم فيها ، ولكنه تسلل اليها بالمساعدات والاستثمارات • فكانت

الانقلابات العسكرية فيها فى النهاية بمثابة شهادة وراثة للاستعمار الأمريكى • وهذه المنطقة كلهـا تدخل فى دائرة الدول التى كانت مستعمرات فرنسية قبل استقلالها ، وما زالت ترتبط بفرنسـا بروابط متعددة ، وبقلب نظم الحكم فيها ونقله لحساب الاستعمار الأمريكي تكون المخـابرات الأمريكيـة قد حققت هدفين فى وقت واحد ، ورثت الاستعمار الفرنسى فى افريقيا ، ثم توجيه ضربات الى الوجود الفرنسى بعد ما أصبح واضـحا أن ديجـول يقود حركة رفض الدول الغربية لاستعمار أمريكا لأوروبا الغربية • وقد امتصت الخطة الأمريكية ـ بانقلابات مفاجئة ـ كلا من داهومى وأفريقيـا الوسطى وفولتـا العليـا ، وهى التى كانت مستعمرات فرنسية واستقلت سنة ١٩٦٠ فقط •

وامتدت حقوق ! ـ الوراثة الامريكية للاستعمار الأوربى الى الاستعمار البريطـانى حيث قفزت الولايات المتحدة عن طـريق الانقلابات العسكرية الى نيجيريا وبوروندى •

وكان الجانب الآخر من مخطط الانقلابات العسكرية يستهدف الدول التى تجرأت بالتصدى للاستعمارات الأمريكية وكل أقنعـة الاستعمار الأمريكى سـواء بالتأميم أو بتقييد حركتها وكشف أهدافهـا ؛ بل والى الدول التى تجرأت على اتخـاذ مواقف النقد والمعارضة للاستعمار الأمريكي فى فيتنام والدومينكان • وأبرز هذه الدول التى سقطت غانا وأندونيسيا • مع ملاحظة أن الهند كادت أن تسقط وان لم يكن بانقلاب فبالضغط عليها عن طريق المساعدات الغذائية لمواجهة المجاعة •

والواقع أن بداية موجة الزحف الاسـتعمارى الأمريكى هـذه كانت فى سيلان حيث تدخلت أجهزة الولايات المتحدة كلها سواء الاعلامية أو المخابرات فى الانتخابات العـامة • وبالاغراء والمال

استطاعت ان تســقط حزب مسز باندرانيكا الذى كان وحده بين أحزاب سيلان يرفع راية الاشتراكية وعدم الانحياز • وتحت هذه الراية أممت مصالح أمريكية متعددة فى سيلان • وتحت شعار عدم الانحياز خاضت سيلان جولات كثيرة فى مجابهة الاستعمار الامريكى فى العالم الثالث• وقد كان من الجوهرى ـ من وجهة النظر الأمريكية ـ اسكات هذا الصوت الذى استطاع أن يأخذ عنصر المبادرة بالعمل حين كانت بعض الدول الآسيوية على وشك السقوط • وفعلا انتهت الانتخابات بسقوط حزب مسز باندرانيكا وجاء حزب يمينى الى الحكم أعاد الاستثمارات الأمريكية الى أصحابها ، وجمد سياسة سيلان بعد أن عاد بها الى دائرة الظل وأفقدها كل قدرة على المبادرة بعمل • وكان عدم التصدى الجماعى لامريكا مشجعا لفتح جبهات أخرى •

ثم تتابعت الانقلابات العسكرية على العالم الثالث حتى انتهت جولتها الأولى بانقلاب غانا • ولعل مايؤكد أن المسألة لم تنته بانقلاب غانا • وانما هى حولة مترابطة الأطراف العوامل التالية •

● أنه حلقة فى سلسلة انقلابات بدأت فى أكتوبر ١٩٦٦ وبلغت حتى شهر فبراير أى خلال خمسة أشهر فقط ٧ انقلابات وأصبحت ثمانية بانقلاب غانا • وكلها انقلابات عسكرية بالرغم من كل محاولات التغطية التى فشلت فى أن تخفى القفاز الذى يحرك « الدمى » التى ارتدت الملابس العسكرية •

● ارتبطت سلسلة انقلابات أفريقيا بمحاولات قلب نظام الحكم فى أندونيسيا • ولعلها مصادفة توزيع خبر من الولاكات الأجنبية ـ وكلها غربية ـ عن وقوع انقلاب ضد سوكارنو بعد انقلاب غانا بيوم واحد وقالت ان السبب هو عزل سوكارنو لناسوتيون زعيم اليمين فى الجيش الأندونيسى !

● أن موجة المداليميني في العالم الثالث وصلت الى الشرق العربى في صورة مكررة محفوظة الألوان والخطوط وهى الحلف الاسلامى الجديد ثم العدوان الاسرائيلي • ولكنها ليست في اعتقادى بمنفصلة عن موجة المد الرجعى الذى يزحف على دول العالم الثالث كلها •

● وأن قادة انقلاب غانا كانوا أكثر جرأة تصل الى حد الصفاقة ـ في تحدى الرأى العام الأفريقي باعلان أن مخطط الانقلاب وضع في لندن

● ولو لم تكن هذه العوامل موجودة لكان من الممكن معالجة انقلاب غانا على أنه تمرد داخلي على أوضاع تبدو من وجهة نظرهم خاطئة • ولكن هذه العوامل جعلت من أى منطق ـ لو كان هناك منطق ـ يسند الانقلاب مسألة غير ذات موضوع •

ولذلك أعتقد أن دراسة الموقف يجب أن تتم بعيدا عن غانا نفسها وأزمة الحكم فيها • لأنها ليست مسألة أزمة نكروما بل هى حتما زحف خطير لمخطط رجعى يريد أن يبتلع القارة التى لم تتمتع بعد بثمار الاستقلال •

ولعل ما يؤكد وجهة نظرى حديثان أحدهما خرج من لندن والآخر من لاجوس • ويبدو أن أصحابهما قد أنستهم فرحة الانتصار غير المتوقع أبسط قواعد الحذر •

فمن لندن تحدث كهوأميهيا مدير المخابرات السابق في غانا والذى يعيش هناك منذ عامين • فقال بالنص الحرفى :

« ان الخطط والتعليمات الخاصة بالانقلاب قد هربت الى أكرا عن طريق « حاملى الحقائب » الذين يعملون لحساب « مجلس الثورة فى المنفى » ، وبعضهم من الأوربيين والتعليمات التى تخرج من لندن

فى برقيات شفرية كانت ترسل الى بعض الاصـــدقاء البيض من رجال الأعمال فى أكرا ! •

وأهم ما فى حديثه أنه كشف عن دور رجال الأعمال البيض ، وهم ما نطلق عليهم ـ اقتصاديا ـ أدوات الاستعمار الجديد فى تنفيذ المخطط الانقلابى •

ومن لاجوس أعلن زعماء حزب الاتحـــاد المعارض لنكروما ـ والمقيمون الآن فى نيجيريا حيث وقع آخر انقـلاب عسـكرى قبـل أسبوعين تقريبا من انقلاب غانا ـ أن خطة الانقلاب وضـعت منذ عامين وذلك فور اعلان الانقلاب •

ولا يمكن القول أنه وصلت اليهم معلومات مثل هذه بسرعة الريح • فالحديثان قيلا قبل مضى ١٢ ساعة على وقوع الانقلابين •

ولعل مما يستحق الاشارة هنا ، أن نيجيريا التى كانت ملجأ لمعارضى نكروما قد واجهت غزوا استعماريا ـ بالأموال الامريكية حتى أن الاستثمارات الأمريكية هناك بلغت فى ٣ أعوام فقط ٧٠ مليون دولار ، ومعهـا قدمت الحـكومة الأمريكية ٢٢٥ مليـون دولار مساعدات اقتصادية متنوعة •

وما جرى فى نيجيريا لابد أن يكون بتخطيط وتنسيق يسبق ما كان مقدرا أن يجرى فى الشرق العربى •

فخطة نيجيريا كانت اشـعال حـــرب أهلية انتهت فعـــلا بانفصال الاقليم الشرقى حيث كل الثروة البترولية التي تحتكرها الشركات الأمريكية وبعد العدوان الثلاثى على العرب ظهر أن بترول نيجيريا هو أحد مصـــادر انقاذ الغرب من آثار الحرمان من البترول العربى •

وبذلك يكون الاستعمار الجديد قد ألقى قفاز التحدى علنا ، وعلى مشهد من العالم كله فى وجه دول العالم الثالث • وحيث أنه قد فرض على هذه الدول القتال فالمفروض أنه لا يستطيع أن يفرض عليها الاستسلام •

وقد تصادف — وان كنت أعتقد انها وضعت فى حساب الذين خططوا للانقلاب — أن جاء انقلاب غانا قبل أيام من مؤتمر أديس أبابا لوزراء خارجية منظمة الدول الأفريقية • وبالرغم من أن ارتباط الحدثين يحرج بعض الدول الأفريقية المترددة الا أنه يضع أفريقيا كلها صراحة وبدون أى قناع أمام مصيرها •

صحيح أن هناك مشاكل قانونية مثل الاعتراف بالحكومة وقانونية تمثيل كل وفد لبلاده ، ولكن الذى يجب ألا يغيب عن البال أن العالم اذا تحرك فى نطاق القانون وحده لتجمدت الحياة ، ولاستحال خوض أى معركة تطوير • فلابد من معالجة الموقف على أنه حدث سياسى وليس موقفا قانونيا •

هذا الى جانب أن مشكلة مثل هذه هى فى الواقع أكبر من امكانيات منظمة الدول االأفريقية بحالتها الحالية ولو كان ذلك فى أمريكا مثلا لتحركت منظمة الدول الأمريكية فورا حسما للموقف !

ومع ذلك فان نظرة موضوعية — بدون أمنيات أو أحلام — الى أفريقيا بكل ما فى واقعها من تناقضات جعلت احتمالات عدم توقع شىء — فى أديس أبابا أكبر كثيرا من حدوثه ، فكما سبق القول مرات أن الرايات التى ترتفع فى سماء أفريقيا هى كالسراب تخدع البصر عن حقيقة عدد الدول الأفريقية المستقلة فعلا •

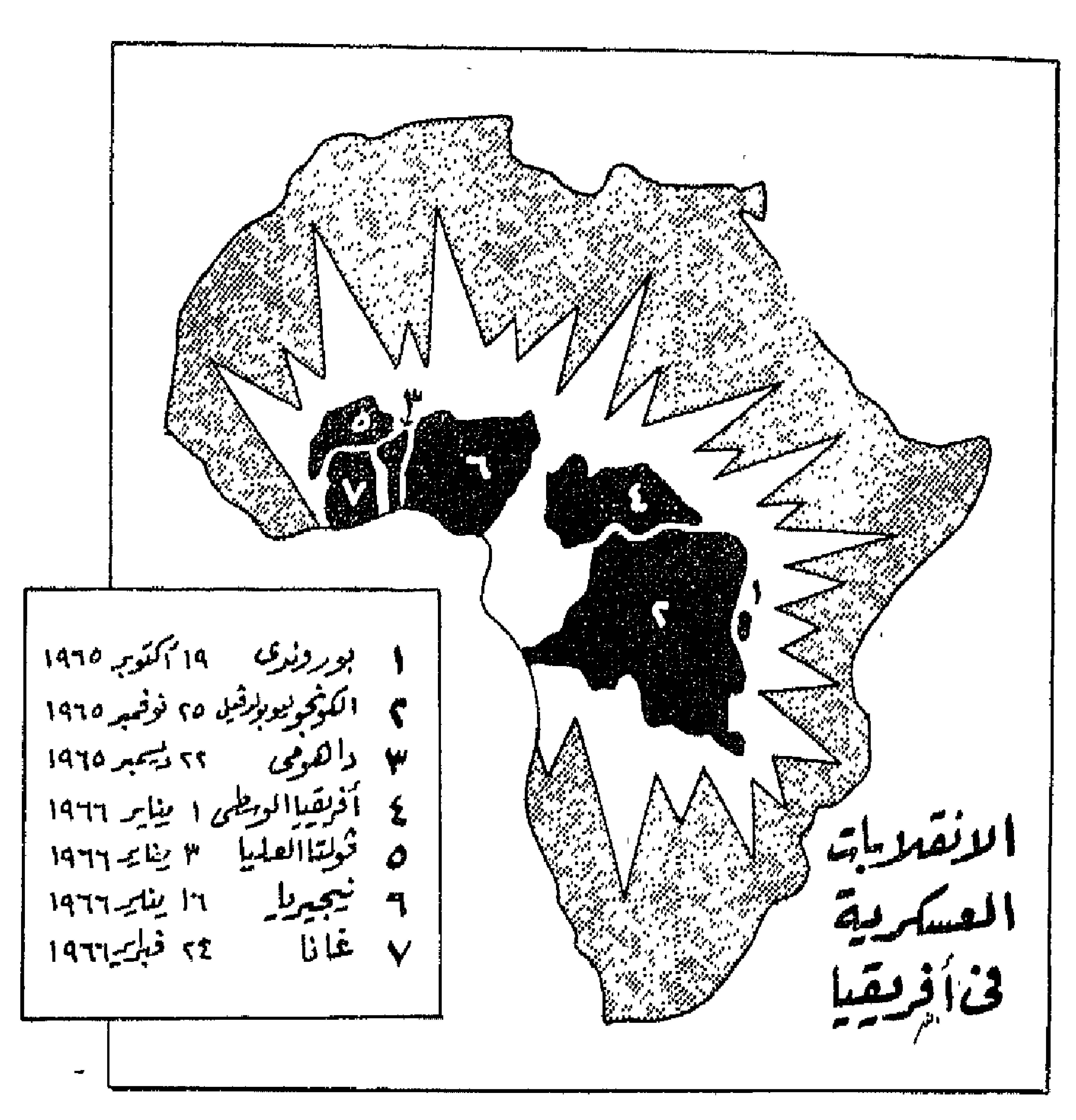
ومعركة اليوم المكشوفة قد حددت بصورة قد تكون قاطعة العدد الحقيقي للدول المستقلة على أرض أفريقيا .

واذا كانت الأحداث اليوم تجرى على أرض أفريقيا فالأمر الذى لا يجب أن يغيب ـ ولو للحظات ـ عن الأنظار أن ما يجرى فى أفريقيا له صورة متعددة ومتماثلة فى كل أنحاء العالم الثالث بقاراته الثلاث آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا . ومعالجة الموقف اذا تمت تكون فى اطار العالم الثالث لا على صعيد أفريقيا وحدها حتى تعطى للقوى التى تصدر نفسها لقيادة المعركة صلابة أكثر .

وفى نفس الوقت أصبح الموقف يفرض على أصحاب المصالح الوطنية يقظة بالغة فى متابعة خطوات مراكز العمل للقوى الأجنبية وهى معروفة ، وفى نفس الوقت متابعة تحركات العملاء المبعثرين فى العالم يبيعون أوطانهم وأنفسهم للذين يدفعون أكثر . !

ثم بدأت الجولة الثانية فى معركة تمزيق أفريقيا وعزلها عن العالم ، وذلك بتفجير أزمات قديمة تركها الاستعمار خلفه يوم رحل ثقة منه انها القنطرة التى تفتح له يوم يريد العودة ، وللأسف ان افريقيا لم تكن قد التقطت أنفاسها بعد منذ الجولة الأولى التى خسرتها ، فتشجع الاستعمار وخاض الجولة الثانية معها .. !

وأخطر ما فى معالم الجولة الثانية أنها بدت وكأن الشخصيات التى تتحرك على مسرح الأحداث ليست دمى تحركها أصابع أجادت التدريب على اللعب على مسرح العرائس الجديد . وبالتالى تبدو المسألة وكأنها مجرد رغبة من افريقيا فى عزل نفسها عن العالم ، وليست سياسة مرسومة لعزلها بستار كثيف من الأزمات .



الجولة الأولى مع أفريقيا التى انتهت فى فبراير سنة ١٩٦٦

وتحمل الجولة الثانية فى طياتها معالم التغير من الهواية الى الاحتراف بين العسكريين فى افريقيا للعمل السياسى ، وأهمية احتراف الجيوش الأفريقية للعمل السياسى تأتى من أن الاحتراف يعنى بالنسبة للقوى الأجنبية انقلابات متلاحقة تؤكد من جديد أن أفريقيا قد أصبحت « أمريكا اللاتينية الثانية » بدلا من أن تنجح أفريقيا فى مد حركات التحرير الى أمريكا اللاتينية وتجعلها أفريقيا الثانية ، وربما كانت تجارب العالم العربى تجعله أكثر دراية من العالم الثالث كله بمدى فداحة ثمن احتراف جيش للعمل السياسى !

وربما كان طبيعيا أن تبدأ الجولة الثانية مبكرة قبل أن تمضى شهور معدودة على نهاية الجولة الأولى . والذى يفسر ذلك :

● أن أفريقيا لم تفق بعد من ضربات الجولة الأولى . وبالتالى تصبح الجولة الثانية أقصر مدة وأضمن فى نتيجتها حيث تكاد تنعدم المقاومة الفعلية .

● ان أفريقيا لم تستطع قبول تحدى الاستعمار الجديد وقبلت التراجع فى الجولة الأولى ، وراحت تلعق جراحها فى الظلام ، وبالتالى فهى لن تقبل التحدى فى الجولة الجديدة .

● سهولة النصر الذى تحقق من الجولة الأولى يغرى ـ بلاشك ـ على طلب المزيد من المكاسب ويشجع على دخول جولة ثانية وبسرعة .

وليس تفسير مايجرى الآن فى افريقيا بأنه جولة ثانية مع الاستعمار الجديد بنوع من التمنى أو المشجب الذى تعلق عليه كل الأخطاء هربا من الواقع .. بل هو الصدق بعينه .. وليس أدل على ذلك من أن الدمية التى تحركت على مسرح عرائس أوغندا هى نفسها التي تحركت فى ظلام أحداث الجولة الأولى .

ولابد من عودة الى الوراء شهورا معدودة فقط وبالتحديد فى مارس ١٩٦٧ حيث خرجت من كامبالا أنباء انقلاب ـ فشل ـ يقوده موتيسا الثانى ملك يوجندا أو رئيس جمهورية أوغنـــدا ، وكانت فصول المؤامرة واضحة ، اذ كان موتيسا قد بعث بسكرتيره الخاص للحصول على مساعدات عسكرية من الخارج وتحقق له ذلك . وفى نفس الوقت اجتمع موتيسا نفســه بعدد من السـفراء طالبا منهم المشاركة فى انقلابه . والمعروف أن هذا الملك نفسه هو الذى كان يقود دعوة انفصال أكبر أقاليم أوغندا ، وسافر من أجل ذلك الى لندن ١٩٦٠ .

وانقــلاب الكونجو ليس أكثر من حلقة فى سلسلة انتقــال السلطة بين القوى الأجنبية المختلفة هناك • وهى فى النهاية ليست أكثر من قذف الكرة من يد الى أخرى دون أن تعود الكرة ـ السلطة ـ الى أصحابها الأصليين •

وما يجرى الآن من دماء فى نيجيريا أمر ليس فيه أدنى قدر من المفاجأة بل ربما كانت المفاجأة أنه تأخر عما كان متوقعا له •

فاذا أضفنا الى ذلك أزمة زامبيـــا بتجاورها مع روديســيا الجنوبية وجدنا الأغلبية الساحقة من الدول الأفريقية قد أصبحت مشغولة بقضايا داخلية بالغة الحيوية لوجودها • وخطأ تصورت هذه الدول أو أغلبها أنه ليس هناك علاقة بين سياستها الخارجية النشطة وبين أزماتها الداخلية ، وبالتالى تصورت أنه يجب أن تحد من نشاطها الدولى لتتفرغ لأزماتها الداخلية • وهذا هو ما أريد لها من الجولة الثانية وهو العزلة • اذ أن العزلة فى حد ذاتها عن المجتمع الدولى تعتبر أخصب الأراضى للجولة الثالثة وربما الأخيرة للاجهاز على مابقى من الوجود المستقل لدول أفريقيا •

وتبقى بعد ذلك نقطة أخيرة وهى حول ما يستفيده الاســتعمار الأمريكى من عزل ـ أو عزلة ـ أفريقيا عن الأحداث • فهى قد كانت خلال السنوات الخمس الأخيرة أكثر دول العالم الثالث حركة وأكثرها ايجابية فى العمل • وظهر ذلك فى أكثر من مجال •• فى لجنـــة تصفية الاستعمار بالأمم المتحدة حيث كشفت الوفود الأفريقية عشرات من مخططات التدخل الأجنبى •• فى الجمعية العامة حيث تحولت المجموعة الأفريقية الى سوط يلهب ظهر الحصان الذى يخرج من دائرة السباق من أجل الحقيقة •

ويومها ارتفعت أصوات فى الغرب وخاصة فى الولايات المتحدة تطالب باعادة النظر فى المنظمة الدولية التى لم تعد طيعة فى يد

الغرب كما كانت منذ تكوينها ، حتى وصلت الى حد أن تكون ضمن برنامج الرجل الذى خاض معركة الرياسة الأمريكية ١٩٦٤ وطالب فيه بالانسحاب من الأمم المتحدة • ورغم أن كل الأصوات ارتفعت معارضة أفكار جولدووتر الا أنها اهتمت بالقضايا التى أثارها • والخلاف معه لم يكن فى القضايا وانما فى أسلوب حلها • فبدلا من الانسحاب من الأمم المتحدة يمكن اعادة المنظمة الى دورها القديم وهو مجرد تنظيم يملك الغرب السيطرة الآلية على توجيهه • وبدلا من خوض حروب مع القوى التحررية يمكن القضاء عليها عن طريق انقلابات الدمى العسكرية •

وعلى هذا المخطط تحركت كل القوى فى معركة التحدى السافر للعالم الجديد وانتهت مراحله بتحقيق كثير من أهدافه •

فصوت أفريقيا فى الأمم المتحدة قد خفت الى حد يقرب من الهمس ، وقد سمعت فى مبنى الأمم المتحدة الكثير عن حيرة الوفود الأفريقية ، فلا هى أصبحت على اتصال بعواصمها ، ولا بقادرة على تمثيل حكومات تختلف معها اختلافا جذريا • وقد تكون قضية روديسيا فى مجلس الأمن خير مثال على ذلك • فهى تنتقل من جلسة الى أخرى دون نتيجة فعلية • ثم جاء الموقف الحاسم عند نظر العدوان الثلاثى الغادر على الدول العربية •

وليس معنى ذلك أن تستسلم أفريقيا لقدرها وتمضى وراء موكب التبعية تبكى على ما فات ، بل لابد من تغير يجرى بين الدول الباقية على صعيدها • فتتحول من دور الدفاع الى الهجوم وتستعيد من جديد عنصر المبادرة بالعمل • ولكى تستعيد قدرتها على الحركة بالرغم من كل أزماتها الداخلية : لابد من فهم بالغ العمق لمدى الترابط بين السياسة الخارجية والاستقرار الداخلى • فكلاهما عجلة فى ركب

التطور الذى يستحيل أن يمضى محتفظا بتوازنه عبر الطرق الوعرة بعجلة واحدة ٠

وبعد فلقد انتهت الولايات المتحدة من جولاتها فى آسيا أولا ثم فى أفريقيا بعد ذلك الى اسقاط أغلب الحكومات الوطنية ، وشغل الباقى باحتمالات السقوط ، أو بأزمات داخلية مفروضة عليها ٠ وبعد ذلك تفرغت الولايات المتحدة لشن حربها على الشرق الاوسط باعتبار أن القاهرة هى القلعة الأمامية الباقية مع عدد محدود من هذه المراكز الدفاعية عن العالم الثالث ٠

الفصل العاشر

غـــزو الدومينكان

ليس غريبا أن يرتبط غزو الدومنيكان بموجة الزحف الاستعمارى عن طريق الانقلابات على العالم الثالث . وعلى ذلك كان مفروضا معالجة موضوعه ضمن الحديث عن الانقلابات فى العالم الثالث ، ولكننى رأيت أن موضوعه يســتحق الوقوف عنده وحده . وخصوصا وأنه كان ضمن مقدمات الزحف على العالم الثالث . بل وكان النجاح فيه أكبر تشجيع للاستعمار الأمريكى ليمضى خطوات أبعد .

ففى سبتمبر من العـــام الماضى ـ ١٩٦٦ ـ انسحبت القوات الامريكية التى كانت قد بلغت ٢١ ألفا من الدومنيكان بعد احتلال لها استمر ١٧ شهرا . وقبل أن تنسحب هذه القوات أجريت فى حمايتها انتخابات ـ ! ـ انتهت بتنصيب الدكتور جواكين بالاجوير رئيسا للجمهورية .

وقبل أن نعود الى بداية الغـــزو الأمريكى للجزيرة وظروفه لا بد من تمهيد من خلال صفحات تاريخ الدومينكان مع الاستعمار الأمريكى .



فغى سنة ١٩٠٤ حدث أول تدخل حربى أمريكى فى شئون الدومينيكان • ويومها قال الرئيس الأمريكى روزفلت ـ الذى تلقبه المؤسسات الثقافية للاستعمار الأمريكى بأنه رجل السلام وصاحب دعوات حسن الجوار ـ قال ان من حق الولايات المتحدة ممارسة دور القوة البوليسية فى أمريكا اللاتينية • وتبع ذلك التدخل فى بقية دول البحر الكاريبى • حتى قامت القوات الأمريكية البحرية فى

مايو سنة ١٩١٦ باحتلال الدومينيكان ، وذلك فى عهـــد الرئيس وودرو ويلسون الذى يطلقون عليه خداعا بأنه رجل الحريات ! •

لقد قررت الولايات المتحدة التدخل عسكريا على هدى الشعار الذى كانت تجرى فى ظله وأعنى به « دبلوماســـية الدولار » • وأطاحت بايرياس رئيس الجمهورية مســـاندة لرجـل لايتمتع الا بكراهية الجماهير • وبقيت القوات البحرية فى الدومينيكان لتحمى تشعبات حركة الدولار فى اقتصاد الدولة حوالى ثمانية أعوام •

ويوم انسحبت القوات الامريكية سنة ١٩٢٤ تركت خلفهـا هيكل دولة قائم على بناء عسكرى بوليسى دربتـه وأقامته القوات الأمريكية • ومن خلال هـــذا الهيكل الارهابى خرج تروجيللو الدكتاتور الذى حكم الدومينيكان ٣١ سنة ابتداء من سنة ١٩٣٠ • وكان فى بداية حياته موظف تلغراف • ويوم أن اغتيل فى مايو سنة ١٩٦١ قدرت ثروته بنحو ١٨٠ مليون جنيه •• !

وكان اغتياله مثيرا للحكومة الأمريكية الى حد أنها سارعت الى طلب عقد اجتماع فورى لمنظمة الدول الأمريكية ، وطالبت فيه بارسال لجنة تحقيق فى أعمال الارهاب التى سادت الدومينيكان بعد اغتيال تروجيللو •

وبينما المنظمة الأمريكية مجتمعة كانت قطع الأسطول الأمريكى مع حاملة الطائرات « سانجرى لا » تتحرك قرب شواطىء الدومينكان تحت قيادة السفينة الحربية « نورثاميتون » ، مع اعلان حالة الطوارىء فى قاعدة « كامب لوجين » بالدومينكان استعدادا للتدخل العسكرى ومن الواضح أن أمريكا بهذا كانت تتدخل صراحة فى شئون داخلية بحتة للدومينكان ، وأنها كانت تريد من جـــديد ـ مثلمـــا فعلت سنة ١٩١٦ ـ أن تفرض ديكاتورا آخر على الدومينكان •

وفى ١٩ نوفمبر أذاعت المصادر الامريكية ـ قبل أى مصادر أخرى ـ أن انقلابا عسكريا قد وقع فى الدومينكان ، وقام به اثنان من اخوة تروجيللو الديكتاتور الذى اغتيل • ولكن الانقلاب فشل ، وفرض حظر التجول على شعب الدومينكان لمدة ١٢ ساعة يوميا • وفى وسط هذا الجو المشحون خرج رئيس جمهورية الدومينكان الجديد ببيان يرحب فيه بوجود القوات الأمريكية فى البحر الكاريبى ، ويشيد بدورها الذى يحمى أمن الدومينكان !

وبعد عام تقريبا ـ ديسمبر ١٩٦٢ ـ قامت ثورة شعبية مسلحة ، ولكن قوات الجيش استطاعت اخمادها بعد ادخال المئات فى السجون وقتل العشرات فى الشوارع •

وفى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٣ أى بعد أقل من عام وقع انقلاب عسكرى جديد انتهى باعتقال رئيس الجمهورية جوان بوش وطرده من البلاد ، والغاء الدستور ، وحل المجلس التشريعى وكل الأحزاب السياسية •

وكان رد الجماهير على الانقلاب الجديد ثورة شعبية مسلحة فى الجبال المحيطة بالعاصمة انتهت فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٦٥ بقلب الحكم ، والعمل على اعادة جوان بوش الى البلاد •

وكان الانقلاب الأخير هو الانقلاب الثامن في خلال أعوام لاتكاد تكمل الأربعة •

وفى اليوم التالى تحركت قوات مشاة البحرية الأمريكية صوب الدومينكان • وفى ٢٩ أبريل نزلت القوات الأمريكية فعلا فى مدن الدومينكان • وكانت الدفعة الأولى منها ٥ آلاف جندى ارتفعت خلال أيام ثلاثة الى ١٤ ألفا لتقفز بعد أيام أخرى الى ٢١ ألف جندى ، وكانت محصلة عمليات يومها الأول ١٥٠٠ قتيل من شعب الدومينيكان •

وفي الوقت الذى كانت القوات الأمريكية قد بدأت فيه بالفعل سحق الثورة كانت قد دعت الى اجتماع عاجل لمنظمة الدول الأمريكية وفرضت على الاجتماع مشروعا بارسال قوات مشتركة الى الدومينكان. وكان الهدف الحقيقى هو التغطية على دور القوات الأمريكية • وقد وافقت ١٤ دولة واعترضت ٥ على المشروع الأمريكى ، وانتهى الاجتماع بتشكيل قوات من ٤ دول هى هندوراس ونيكاراجوا والبرازيل وجواتيمالا •

وكان السبب الذى أعلنته الولايات المتحدة لتدخلها المسلح هو حماية أرواح المواطنين الأجانب وعلى وجه خاص الأمريكيين فى الدومينكان • فقد قال جونسون فى مؤتمر صحفى : « لقد أصدرت الأوامر بارسال هذه القوات التى ستبقى فى الدومينكان الى أجل غير مسمى حتى لا تسقط فى قبضة الشيوعيين • وأن ذلك جرى لحماية أرواح الأمريكيين •

واجتمعت الأمم المتحدة ممثلة فى مجلس الأمن ، ولكنها لم تستطع الوصول الى شيء • وقد قال رئيس الوفد السوفيتى فى مجلس الأمن : « منذ متى صار صون السلام والأمن فى العالم حقا من حقوق البيت الأبيض الأمريكى ؟ » •

وقد انطلقت المظاهرات فى كل مكان تدين العدوان الأمريكى ولكن عملا ايجابيا لم يتخذ • وهو على ما يبدو ما قدرته الولايات المتحدة جيدا قبل اتخاذ أى خطوة •

وأمام الزحف الأمريكى اضطرت قوات الثورة بقيادة كامانو أن تقبل وقف اطلاق النار ، وأن تقبل مجلسا مشتركا من الجانبين برياسة انطونيو امبرت الموالى لأمريكا •

وفى نفس الوقت كانت بعثة من منظمة الدول الأمريكية قد انتهت من تقرير لها بأن هناك تسللا شيوعيا بين صفوف الثوار ا

وفى اليوم التالى ـ ١١ مايو سنة ١٩٦٥ ـ بدأت القوات الأمريكية الزحف على آخر مابقى من قلاع جيش الثورة فى العاصمة مدعمة بحشد من المدرعات والدبابات ٠

وبعد أن بدأ زحف مشاة الأسطول الامريكى الى معاقل الثوار أعلن امبرت رئيس الحكومة المشتركة انذارا نهائيا الى الثوار بالقاء سلاحهم والاستسلام أو ابادتهم عن آخرهم ٠٠ !

وفى ظل هذه الظروف كان يوثانت قد استطاع انقاذ الأمم المتحدة بالاتفاق على ارسال مبعوث خاص يمثله لاستطلاع الموقف ٠

والغريب أن منظمة الدول الامريكية قد سارعت بالاحتجاج على قرار السكرتير العام للأمم المتحدة ٠ واعتبرت مجرد ارسال ممثل خاص له تدخلا فى شئون أمريكا الجنوبية ، وأنه تدخل مرفوض ٠ وكان ذلك أول صدام تواجهه الأمم المتحدة مع احدى المنظمات الاقليمية ٠ وشغلت دوائر الأمم المتحدة بمناقشة هذا الخلاف القانونى عن حقيقة ما يجرى على أرض الدومينكان ٠

وفى الوقت الذى وقف فيه المجتمع الدولى بكل ظروفه وتناقضاته عاجزا عن عمل شىء لوقف هذا السحق الذى تقوم به القوات الأمريكية لأنصار الثورة المسلحة فى الدومينكان ، دارت مناقشات فى الكونجرس تبين منها عدة حقائق رفضت الحكومة الأمريكية اذاعتها وان كانت قد تسربت الى الصحف ٠٠ وملخصها هو :

١ ـ ان الولايات المتحدة أغرت المجلس العسكرى الحاكم فى الدومينيكان على تقديم طلبه العاجل ـ فى ٢٨ أبريل ـ بارسال قوات لحماية أرواح الأمريكيين ٠

٢ ـ أن الحكومة الأمريكية قررت فى بداية الحرب الأهلية يوم ٢٤ أبريل أن العسكريين فى الدومينيكان وحدهم هم الذين

يستطيعون أن يمنعوا استيلاء الشيوعيين على الحكم ، ولهذا أخذت هذه الحكومة تعمل من وراء الستار لتعزيز قوات الدومينيكان فى نفس الوقت الذى كانت تعلن فيه أنها لن تتدخل • بيد أنها كانت مستعدة لاستخدام القوات الأمريكية اذا أصبحت للثوار اليد العليا •

٣ ـ أن الولايات المتحدة كانت تعتزم منع الرئيس السابق جوان بوش من العودة الى الدومينيكان وكذلك منع أنصاره من الثوار من احراز نصر ، وذلك على اعتقاد أن هؤلاء أقاموا تحالفا فعالا مع الشيوعيين فى الدومينيكان •

٤ ـ أن الحكومة الأمريكية • بعد أن أنزلت ٢١ ألف جندى فى سانتو دومينجو مما وصفته بأنه عملية محايدة لحفظ السلام ، بحثت ـ على نحو جدى ـ شن هجوم للقضاء على قوة الثوار ، ولم يمنعها من ذلك الا الخوف من وقوع عدد كبير من الاصابات بين النساء والأطفال فى منطقة الثوار •

٥ ـ أن الحكومة الأمريكية ـ قبل الثورة ـ لم تكتف بتقديم معونة اقتصادية كبيرة للحكومة المدنية التى كان يرأسها دونالد كابرال ، بل عمدت أيضا الى تقديم المشورة السياسية اليه ، وسمحت لادارة المخابرات المركزية بتدبير قواته البوليسية كما حذرته من « تآمر » بوش ، كل ذلك بالرغم من انها كانت تعلم عن طريق الاستفتاءات الشعبية التي أجرتها أجهزتها أن هذه الحكومة لا تلقى تأييد الشعب وأنها تنوى الغاء الانتخابات التى كان مقررا عقدها فى شهر سبتمبر •

وبدلا من أن تقدم الحكومة الأمريكية على نشر نص هذا المحضر، عمدت الى وضع « كتاب دومينيكى أبيض » ، كان بدوره سرا يستهدف تبرير التدخل الأمريكى لا توضيحه •

وهو الكتاب الذى ظهر بعد ذلك بعام حين كشف دور المخابرات الأمريكية فى المنظمات الطلابية بأنها قامت باعداده وتمويله ٠

وكان الكتاب كله اخطاء وتحريفا حتى فى تسلسل الأحداث وتتابعها ٠ والخطير أن الكتاب لم ينشر على أنه كتاب حكومى ، ولكنه وزع باعتباره من عمل ناشر ليس للحكومة به صلة ، مع أنه على اتصال وثيق بجهاز المخابرات الأمريكى ٠

ويبدو أن الولايات المتحدة كانت تدرك مدى بشاعة ما فعلت فأرادت التمويه بأدلة كاذبة عن تدخل شيوعى فى الدومينيكان ٠ ومع أنه ـ افتراضا بصحة ذلك ـ ليس من حق الولايات المتحدة أن تفعل ما فعلت الا أن هذا السبب كذبته الصحف الأمريكية ٠

ففى الوقت الذى أذاعت فيه لجنـــة المنظمـــة الأمريكية أن الشيوعيين قد تسللوا الى صفوف الثوار نجد صحيفة « النيويورك تايمز » الأمريكية تنشر لمراسلها ناسان دومينجو تحقيقا يقول فيه :

« ان شـــعب الدوميتيكان لم يقرأ تعـــاليم ماركس ولا يمت للشيوعية بصلة ، ولكن معظم أفراده عرفوا معنى الجوع ٠ وأكبر وأقوى رابطة تجمع الثوار هى قسوة المعاناة التى تعرضوا لها » ٠

وكتبت صحيفة « الهيرالد تريبيون » الأمريكية أيضا :

ان امبرت رئيس الحكومة الموالية لأمريكا لا يتمتع بأى شعبية فى الدومينيكان ، وأنه لا يستطيع البقاء فى الحكم دقيقة واحدة اذا ما غادرت القوات الأمريكية الدومينيكان ٠

وقد نشرت « النيويورك تايمز » تحقيقا آخر عن الموقف جاء فيه حرفيا :

ان كل المراسلين الأجانب فى سان دومينجو يعلمون أنه ليس هناك شيوعى واحد بين مساعدى كامانو قائد الثورة ، وأن وزارة الداخلية ـ بمعاونة القيادة الأمريكية ـ قد أصدرت قائمة تضم ٥٣ شخصا بتهمة الشيوعية ، وكانت موضع سخرية من كل المصادر الصحفية اذ أن عددا كبيرا منهم اما توفى أو هاجر خارج الدومينيكان!

وللأسف فان القوات الأمريكية فى مظاهرة تحيط بها قوات برازيلية قد استطاعت احتلال مواقع الثوار ـ فى عاصمة الدومينيكان ـ الذين عادوا الى مواقعهم القديمة فى الجبال .

وهكذا حققت أمريكا كل أهدافها وهى :

١ ـ حماية استثماراتها من أى تهديد مهما كان شكله .

٢ ـ حماية العملاء الذين ينفذون سياستها وايجاد شخص آخر بدل أى رجل تفقده من الذين يشغلون كراسى الحكم باسمها .

٣ ـ تأكيد سيادتها المطلقة على هذه المنطقة من العالم بعد أن نجحت ثورة كوبا فى تعريضها للاهتزاز .

٤ ـ الاستفادة الى أبعد مدى من تجربتها فى غزو كوبا .

والغريب أن هذه العملية الاستعمارية لم تتم فى القرن الماضى ولكنها تمت فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وفى وجود الأمم المتحدة ، وليس هنا مجال لدراسة الظروف الدولية التى تساعد الولايات المتحدة على هـذه الحركة ، ولكن المهم هو اظهار الوجه الاستعمارى للسياسة الأمريكية حتى لايبقى هناك أدنى مجال لكلمة تقال عن أمل ـ ولو ضئيل ـ معقود على الحكومة الأمريكية .

الفصل الحادى عشر

محاولة غزو كوبا

تعرضت مطارات ومعسكرات كوبا فى ١٥ أبريل سنة ١٩٦١ لهجوم مفاجىء بالصواريخ من طائرات أعلن الدكتور جوزيه ميروكاردنيا ـ رئيس مجلس الثورة للمهاجرين الكوبيين بالولايات المتحدة ـ فى مؤتمر صحفى بنيويورك بأن هذه الطائرات تتبع قواته ٠

وقد دعيت بعد ساعات من هذا الهجوم اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة لبحث اتهام وجه من كوبا للولايات المتحدة بأنها هى التى دبرت العدوان الجوى على كوبا وأنها تعد عملية أكبر لغزوها ٠

وفى فجر اليوم التالى قامت عدة سفن أمريكية بانزال ١٦٠٠ جندى من اللاجئين فى عدة نقط متفرقة على سواحل كوبا ٠ وعرفت العملية بعملية خليج الخنازير ٠ ودارت معارك سريعة انتهت بأسر ما يقرب من ١١٠٠ جندى منهم وقتل عدد آخر وفر الباقى ٠

وقد اجتمع كنيدى فى ظهر اليوم التالى بأعضاء مجلس الثورة للاجئين ثم بنكسون وايزنهاور ، وذلك كله لدراسة الآثار التى

ترتبت على فشل العدوان الذى خرج من ميامي بالولايات المتحـدة ومن جواتيمالا •

وأمام عجز الأمم المتحدة وثورة الرأى العـام العالمى أعلن أن الرئيس الأمريكى تلقى يوم الغزو الفاشل رســالة من خروشوف جاء فيها ••

« انى أوجه هذه الرسالة اليك فى سـاعة من القلق المقترنة بخطر يهدد السلام العالمى • وليس سرا أن العصابات المسلحة التى غزت كوبا قد تدربت وتسلحت وجهزت فىالولايات المتحدة • كذلك ليس سرا أن الطـائرات التى تضرب المـدن الكوبيـة هى طائرات أمريكية » •

وبعد أن أعلن خروشوف أن الاتحاد السوفيتى سيقدم لشعب كوبا وحكومته كل المساعدات الضرورية لصد العدوان قال :

« ان الفنون الحربية تقدمت بحيث يمكن أن تؤدى اية حرب صغيرة الى تطورات خطيرة • وأنالفرصة لا تزال متاحة لاصلاح الخطأ فلا يزال في وسـع حكومة الولايات المتحدة أن تحـول دون تحول لهيب الحرب التى اشـتعلت فى كوبا من جراء التدخل الى انفجار لا يمكن مواجهته » •

وقد رد الرئيس الأمريكى كيندى على رســالة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ـ خروشوف بقوله :

لقد لاحظت بعناية بيـانكم القائل بأن الاحداث فى كوبا قد تؤثر على السلم فى جميع أنحاء العـالم •• وانى واثق من أن هذا لا يعنى أن الحكومة السوفيتية قد تتخذ من الموقف فى كوبا ذريعة ، وأنها تزمع اشعال نار الحرب فى أجزاء أخرى من العالم » •

وهكذا واجهت الولايات المتحدة نتيجة لسياستهـــا الخاطئة بالتدخل فى شئون الدول الأخرى احتمال صـــدام مع الاتحـــاد السوفيتي نفسه • والواقع أن الذى حسم الأمر بالاضافة الى موقف خروشوف الصلب ، هو أولا وقبل كل شيء صلابة الثورة الكوبية التى أسرت أكثر من ثلثى القوات التى غزتها •

وقد فرض الفشـــل على كيندى أن يقف بييرسا لنجر المتحدث الصحفى بلسان البيت الأبيض ليقول « ان الرئيس كيندى أوضح أنه يتحمل وحده مسئولية الاحداث التى وقعت خلال الأيام الماضية ومن بينها فشل الغزو على كوبا » •

ورغم أن المفروض فى هذه الكلمات أنها نوع من التهدئة بأن كيندي وحده يتحمل المسئولية الا أنها فى الواقع بمثابة تحد للعالم بل وصفعة من الاستعمار الامريكى كان قد تلقى فعلا صفعة أخرى أشد منها بفشل الغزو •

وكان هذا التحدى انذارا باحتمال أن تعود الولايات المتحدة الى عملية غزو جديد تتجنب به كل الأخطاء التى وقعت فى الغزو الفاشل • ولذلك تقدمت كوبا فى ٨ أغسطس من نفس العـــام الى الأمم المتحدة بمذكرة تطلب فيها ادراج التهديدات والخطط العدوانية الجديدة للحكومة الأمريكية ضد كوبا فى جدول أعمــــال الدورة السادسة عشرة • وفى ٢٨ أغســطس قدمت كوبا مذكرة تفسـيرية لطلبها حصرت فيها الشكاوى التى تقدمت بها للأمم المتحدة فى الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ •

وقد أعلن رئيس وفد كوبا « كيف يمكن الحديث عن حق تقرير المصير واحترام استقلال الدول دون أن ندين الأهداف الاستعمارية للحكومة الأمريكية ضد كفاح شعب كوبا • وكيف نتحدث عن المبادىء

دون أن ندين القاء القنابل على مدن كوبا وغزو الدولة بقوات دربت وسلحت ومولت عمليتها من الحكومة الأمريكية ؟

وبرغم صيحة الضمير التي أعلنها وفد كوبا فان الاستعمار الأمريكي لم يتعرض ــ على المستوى الجماعي الحكومي ــ للادانة ــ من جانب أي منظمة رسمية ــ دولية ٠

ولم تكن عملية الغزو هي بداية الصدام مع الثورة في كوبا ، بل على العكس فانها لم تكن أكثر من مجرد حلقة من حلقات العدوان المستمر على كوبا ٠

فمنذ قامت الثورة الشعبية سنة ١٩٥٨ في كوبا والولايات المتحدة تحاول بكل الوسائل القضاء عليها ، حين فرضت عليها عزلة تكاد تكون كاملة ، واستخدمت الولايات المتحدة امكانياتها من استثمارات الى قواعد الى مساعدات لتفرض على دول القارة الأمريكية قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع كوبا ٠ ولكنها اكتشفت أن ذلك لم يكن كافيا للقضاء على ثورة كاسترو ، اذ وجدت كوبا عشرات من الدول الصديقة خارج نطاق القارة ٠

فعادت الحكومة الأمريكية ودعت المنظمة الأمريكية الى مؤتمر عاجل انتهى بموافقة شبه اجماعية لطرد كوبا من المنظمة بعد أن كان كثير ن الدول ضد هذا القرار الذى يقطع كل صلة مع الثورة الكوبية وبالتالى لا يعود هناك مجال لتفاهم مشترك ٠

وقد حالت صلابة الثورة الكوبية دون أن تنجح وسائل العزل الامريكية في تحقيق أهدافها ــ فانتقلت الحكومة الامريكية الى ما هو أبعد من ذلك ٠ اذ فرضت حصارا اقتصاديا على كوبا ــ وطالبت كل الدول القريبة أن تشاركها في هذا الحصار ، الا أن التناقضات بين المصالح الرأسمالية لدول الغرب قد جعلت من هذا الحصار مجرد

عرقلة للعمـــل فى كوبا وليس تدميرا له فشركات بريطانيا مثـلا تمردت على القرار الامريكى وتعاملت تجاريا مع ثورة كوبا مما اثار غضب الحكومة الأمريكية وقد فشلت كل الوسائل الأمريكية حتى لم يبق أمامها الا أن تجرب الغزو من الخارج ، وخصوصا وأن أى محاولة للقيام بانقلاب عسكرى من الداخل قد استحالت أمام التنظيم الناجح لجماهير الشعب الكوبى .

وبدأت الولايات المتحدة وسط حملة اعلامية ضخمة فى فتح المدن الأمريكية للطبقة الرأسمالية التى هاجرت من كوبا بعد تأميم المصـــالح الأجنبية هنـاك وكان تدريبهم عسكريا يجرى علنا ، والاحتجاجات من حكومة كوبا تتوالى دون أن يستطيع المجتمع الدولى عمل شىء . وتشـــكل مجلس ثورة فى المنفى . وكان ذلك كلـه استعدادا للغزو الذى فشل .

وأمام عجز المجتمع الدولى عن مســـاندة فعليـة لثورة كوبا ولظروف تتعلق بموقعها وظروف ثورتهـا انحازت كوبا الى الكتـلة الشرقية وأعلن كاسترو الماركسية دسـتورا للعمل لأول مرة سنة ١٩٦٢ . وطلب الحماية من الاتحاد السوفيتى الذى ارسل اليه عددا من الصواريخ عابرة القارات ، وهى التى أدت الى الصدام الصريح بين أمريكا والاتحاد السوفيتى وقد انتهى هذا الصدام الى :

اعطاء كيندى وعدا كتابيا للاتحاد الســوفيتى بضـــمان عدم الاعتداء على كوبا .

وهو فى الواقع هدف ارســال الصواريخ الســوفيتية الى كوبا ، اذ لم ترســـل هذه الصواريخ الى هنـاك ضمن عمليـــة استراتيجية للحرب العالمية الثالثة . فالاتحـــاد السوفيتى ليس فى حاجة على الاطلاق لقاعدة قريبة من الولايات المتحدة لاطلاق

الصواريخ منها ـ فالمعروف أن صواريخ الاتحاد السوفيتي بعيدة المدى وجيدة التصويب الى حد أن المصادر الامريكية نفسها تعترف بأن الاتحاد السوفيتي أكثر تقدما من الولايات المتحدة فى هذا المجال . ومن هنا أصل الى أن مهمة هذه الصواريخ كانت حماية كوبا من أى عدوان خارجي . وقد حققت الصواريخ ذلك بأن فرضت على الحكومة الامريكية ضمان عدم الاعتداء على كوبا مقابل سحب هذه الصواريخ .

سحبت الصواريخ من كوبا . وبالتالى لم يعد هناك مجال لتكون كوبا مجال مجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ولكن بقيت فى كوبا القاعدة الامريكية فى جوانتانامو برغم مطالبة كوبا ـ باصرار ـ تصفية هذه القاعدة المفروضة على كوبا ، حتى لقد قطعت عنها كل الموارد حتى المياه . ولم يعد هناك كوبى واحد يعمل فيها . ومع ذلك أصرت الولايات المتحدة فى تحدى كل منطق والابقاء على القاعدة العسكرية .

وربما كان أخطر ما ترتب على هذا الصدام المسلح بين كوبا والولايات المتحدة هو ما استفادته المخابرات الامريكية من هذه التجربة التى فشلت ، وبقيت كوبا بثورتها أملا أمام كل الوطنيين فى أمريكا اللاتينية .

فقد ظهر أن استخدام اللاجئين لطائرات لا تحمل شارة معينة لم يستطع أن يخفى عن العالم أن الطائرات الامريكية هى التى أغارت على كوبا . ولذلك قامت طائراتها صراحة بالمشاركة فى غزو الدومنيكان .

واكتشفت أن اعتمادها على اللاجئين عمل غير مضمون ، والأفضل استخدام الجيش المحترف وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك فى غزو الدومنيكان .

أدركت الحكومة الامريكية ـ من الغزو الفاشي ـ أن صلابة أي شعب لا يمكن تحطيمها بعدد من الغزاة (كان ١٦٠٠ فقط) ولذلك جمعت ٢١ الف جندى أمريكى لغزو الدومنيكان .

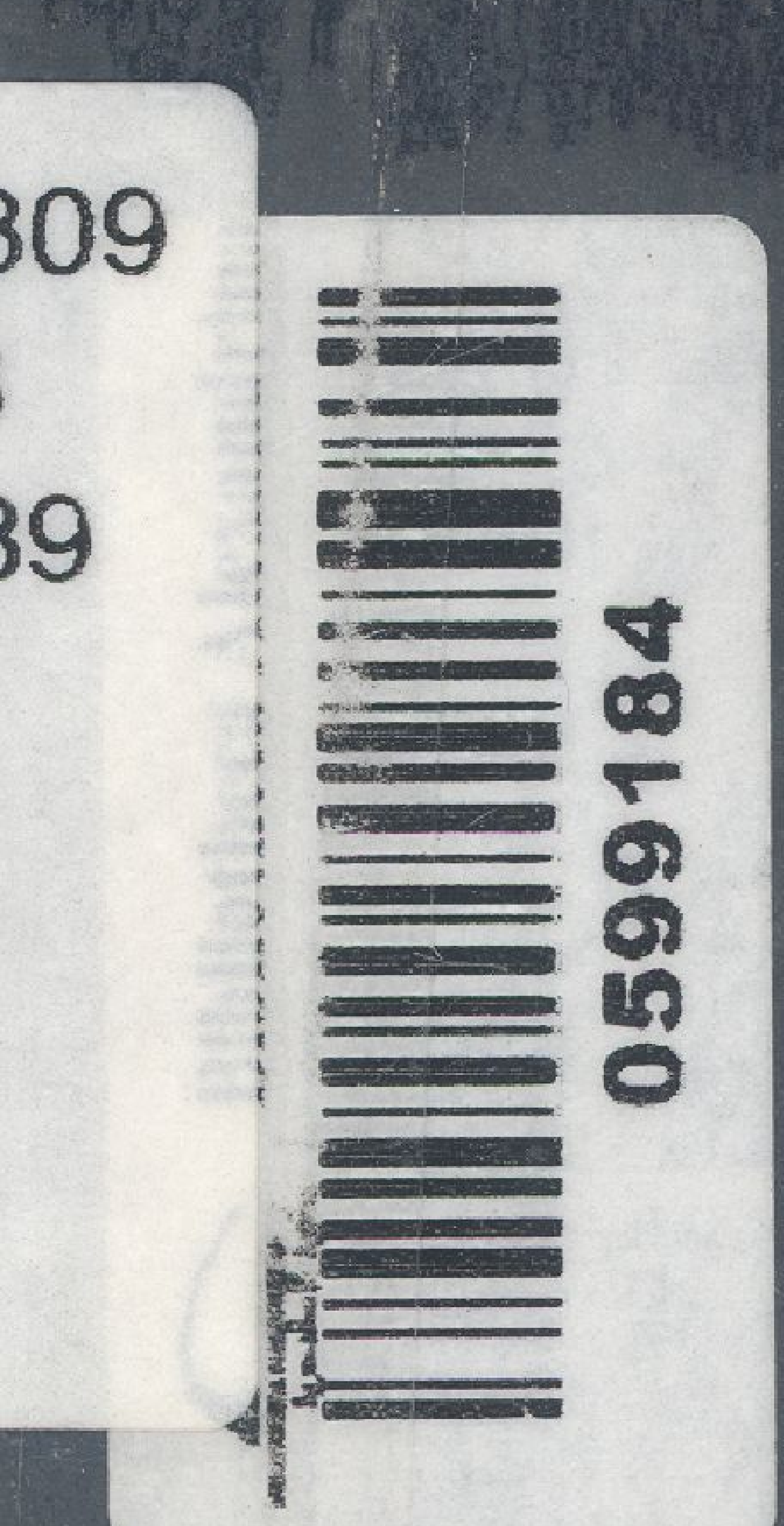
وحتي تتجنب الحكومة الامريكية احتمال أى صدام مع الاتحاد السوفيتي أو غيره سارعت بالضغط على حكومة الدمينيكان لطلب تدخل الجيش الامريكى .

والمهم أن الولايات المتحدة سواء قبل أو بعد الاستفادة من الغزو الفاشى لكوبا تحمل وجها استعماريا بغير رتوش فى مواجهة العالم . ومع ذلك فهى لم تتعرض لموقف مجابهة صلبة . فحتى مؤتمرات دول عدم الانحياز لم توجه نقدا للولايات المتحدة ، بل رأت أغلبيتها أنه لن يفيد كوبا شيئا ادانة الاستعمار الامريكى . وربما كان هذا الموقف واحدا من الأسباب التى شجعت الاستعمار الامريكى على المضى خطوات أكثر على طريق المخطط الاستعمارى .

ولابد أن تكون لموجة المد الاستعمارى الامريكى نهاية . وهو أمر لن يتحقق ما لم تستعد القوى الوطنية الباقية قدرتها على المبادرة بالعمل والتصدى للاستعمار الامريكى : أولا بكشفه ثم بمحاربته .

والخوف كله اليوم أن تكون المعركة القادمة بعد الشرق الاوسط مع كوبا . وربما كان تركيز الجهد فى الفترة الماضية على تصفية الحركات الثورية في المنطقة والتى قتل خلالها الرجل الاسطورة جيفارا مجرد تمهيد لعملية تجرى ضد كوبا قبل الانتخابات على الرياسة الامريكية .. !

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة



وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
١٩٦٧

الثمن ١٥ قرشا